

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الموضوع

الفكر السياسي والديني عند الأمير عبد القادر

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

معيلبي عيسى

إعداد الطاليتين:

• بوعيشة نصيرة

• نوادري سناء

السنة الجامعية: 2018/2017



سيرة النبي محمد

وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَسُرُّدُونَ اِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الفضل الأول والأخير

إلى الهادي، إلى سواء السبيل

إلى من كان على كل شيء حسيب

إلى من جعل لكل شيء قدر «الله جل جلاله»

لقوله تعالى {لإن شكرتم لأزيدنكم}

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أمدنا يد المساعدة، سواء من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

إلى الأستاذ المشرف «معلي عيسى» الذي ساعدنا على إنجاز هذا العمل من خلال إشرافه وتوجيهاتها السديدة.

إلى جميع الأساتذة الكرام الذين لم يبخلوا علينا بمعارفهم.

و في الأخير ندعو الله عز وجل أن يكون عملنا هذا بذرة خير لفائدة كل من يسعى و يجتهد في طلب العلم.

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وقّني لإنجاز هذا العمل وأتمنى أن
يكون خالصا لوجهه الكريم .

أهدي عملي هذا إلى من وصفهما الله بالشمس و القمر والدي
أمي رحمها الله .

أبي أطال الله في عمره .

إلى من قال فيه الشاعر "كاد المعلم أن يكون رسولا" الأستاذ "معيلي عيسى" حفظه الله
إلى أخواتي اللواتي طالما ساندنني في مشواري الدراسي : دليلة،عبلة ،نعيمة ،الزهرة ،مريم
،حورية ،و زوجة أبي حفظها الله فاطنة .

إلى إخوتي الذين كانوا دوما في سندي : محمد ،يعقوب ،إسحاق ، إبراهيم .

إلى زهرات البيت : رميصة ، عائشة ، مريم ،أروى ، حورية .

إلى براعم البيت : محمد ،يوسف ، حسام .

إلى صديقتي الحبيبات : فطيمة ، أمال ، أحلام ، سهام ، حدة ، سماح ، وهيبه ، سناء ،

عايدة ، صبرينة ،فريدة ، نورة ، كريمة .

اهدي عملي هذا إلى كل طالب علم أراد أن يبحر في هذا المجال .

نصيرة

إلى من أحب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى من قال الله فيهما: "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا" ومن كان دعاؤهما لي
سندا ولا زال لطريقي نبراسا .

إلى التي لم أجد كلمة توفيقها حقها ، حفظك الله لي أمي ، أمي ، أمي ، ... أطال
الله في عمرك .

إلى الذي كان لي سندا في هذه الدنيا ، إلى الذي على الفضيلة و الأخلاق ، أبي
العزیز أطال الله في عمرك .

إلى أخي العزيز : ضياء .

إلى أختاي : صفاء ، مروى .

إلى خالتي : ليلي ، سعيدة .

إلى جدتي الحبيبة والغالية : لويزة .

إلى صديقتي الحبيبات : سميرة ، فطيمة ، عائشة ، سعاد .

سناء

مَقْدَمٌ

مقدمة

تعد الجزائر اكبر الدول التي سيطرت على البحر الأبيض المتوسط مما منحها شخصية وهوية عالمية ودولية جعلتها عرضة للعديد من الهجمات الأوروبية خاصة الفرنسية منها التي حاولت في العديد من المرات شن حملات عسكرية على الجزائر إلى أن استطاعت في الأخير احتلالها في 5 جويلية 1830

ويعتبر هذا التاريخ من اكبر النكسات التي حلت على البلاد فبتوقيع معاهدة الاستسلام بين داي الجزائر وقائد الحملة الفرنسية ديبرمون تزرع كيان الدولة الجزائرية وأدى إلى ظهور عدة مقاومات قادتها شخصية جزائرية حاولت الدفاع عن البلاد وقد تنوعت بين مقاومات شعبية منظمة وغير منظمة ومن أبرز هذه المقاومات مقاومة الأمير عبد القادر التي شملت رقعة واسعة معتمدة على تنظيمات سياسية وعسكرية متخذة الغرب مركزا لها، امتاز الأمير بحنكته الحربية ودهائه السياسي واجه الفرنسي في عدة مقاومات كان فيها الإخفاق والنجاح إلا أن مرحلة جهاده التي امتدت من (1830-1883م) كما نجد في كتاب الكولونيل بول أزان متأثر بالجانب العسكري باعتباره ضابط عسكري انساق وراء قاعدة التي تقول "عظمتك في عظمة عدوك" فقد كتب عن الجيش الفرنسي في الجزائر وبذلك يريد أن يثبت مكانة عالية لقواعد هذا الجيش بالرغم من أن كتاب أزال يشمل كل حياة يظل مركزا على الفكر السياسي والعسكري في حياته باعتباره رجل حرب لا رجل دولة والى جانب هذا نجد نزعة الأمير الصوفية والإنسانية التي تطرق فيها إلى الحديث عن مفهوم التصوف وقد بين لنا أن الأمير لم يبدي اهتماما كبيرا في تعريف التصوف لأنه يهتم بالتصوف العملي والتطبيقي. ويعد تصوف الأمير عبد القادر نموذجا حيا لتجربة روحية و فكرية ثرية فريدة من نوعها في العصر الحديث . ذلك أن هذا الرجل قد جمع بين السبق و الفضل في تأسيس الدولة الجزائرية والتصدي للعدوان

الاستدماري الغاشم بالجهاد الطويل والمرير. وبين البحث المضني عن اليقين و الكمال. الذي يقربه من أهل العرفان

و لقد تضمن بحثنا هذا إشكالية أساسية حول الموضوع كانت كالتالي : ماهي أساهمات الأمير عبد القادر الفكرية في الجانبي السياسي و الديني ؟. و اندرجت تحتها مجموعة من الإشكاليات التالية :

_كيف كانت الأوضاع قبل عصر الأمير ؟ و هل كانت هنالك خلفيات للاحتلال الفرنسي للجزائر؟ و ماهي العوامل المؤثرة في تكوين الأمير ؟

_ماهي أسس و منطلقات الفكر السياسي للأمير عبد القادر ؟و ماهي جوانب تطبيقات هذا الفكر السياسي ؟ أو بعبارة أخرى : كيف استطاع الأمير أن يؤسس لدولته سياسيا ؟

_ماهو الفكر الديني عند الأمير؟، ما مفهوم التصوف؟، وما هي أسباب تصوف الأمير؟ كيف كان الطريق الصوفي عند الأمير مقارنة بغيره ؟وما هي نهاية هذا الطريق ؟

ولقد حاولنا معالجة إشكالية بحثنا من خلال خطة تتكون من مقدمة وثلاثة فصول تحت كل فصل ثلاثة مباحث وخاتمة.

أما في المقدمة فقد تطرقنا إلى إعطاء لمحة للعهد العثماني والفكر السياسي والديني ثم تناولنا الفصل الأول تحت عنوان العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر وقد تناولنا فيه أهم المنابع الفكرية الأولى والمتمثلة في العلاقات والأوضاع قبل عهد الأمير وكما تطرقنا أيضا إلى الجذور الفكرية والعوامل المؤثرة في تكوينه من 1807_1883م.

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان الفكر السياسي للأمير عبد القادر وفيه تناولنا ثلاثة مباحث .المبحث الأول أسس ومنطلقات الفكر السياسي للأمير (الأسس الدينية والاجتماعية ونفسية) .والمبحث الثاني المفاهيم الأساسية للفكر السياسي للأمير ويحتوي هذا المبحث على مفهوم الدولة عند الأمير.نظام الحكم وشرعية البيعة للأمير والتنظيم

المحكم للدولة. والمبحث الثالث تناولنا فيه الجانب السياسي والمتمثل في الحنكة السياسية للأمير والجانب العسكري حيث تطرقنا فيه إلى الحنكة العسكرية في تنظيم الجيش عند الأمير والجانب الاجتماعي تطرقنا فيه إلى التنظيم الإداري والتعليمي والقضائي .

أما الفصل الثالث تحت عنوان الفكر الديني عند الأمير عبد القادر. حيث تحدثنا في المبحث الأول عن التصوف حيث تطرقنا فيه إلى مفهوم التصوف عامة وعند الأمير والأسباب التي حملت الأمير إلى التصوف وكذلك المراحل التاريخية لتصوف الأمير. أما المبحث الثاني تحت عنوان الطريق الصوفي وقد تناولنا فيه أولاً المقامات عند المتصوفة وعند الأمير، وثانياً الأحوال عند المتصوفة وعند الأمير. أما المبحث الثالث والذي كان عنوانه نهاية الطريق الصوفي فقد تناولنا فيه وحدة الوجود والشهود عند المتصوفة، ووحدة الوجود والشهود عند الأمير. أما الخاتمة فشكلت الإجابة التي ناقشناها من خلال هذا العمل.

وقد اتبعنا المنهج التحليلي باعتباره الأنسب لتحليل هذه الأفكار المعرفية وصياغتها صياغة معرفية وفلسفية التي تستند على أسس فلسفية والمنهج التحليلي المقارن وذلك من خلال دراسة بعض جوانب الأمير في تأسيس دولته ومدى ارتباطه بالفكر الديني والسياسي من العهد العثماني إلى عهد الأمير عبد القادر ومدى تشابه وتباين هاتاه الأنظمة. هذا بالإضافة إلى مقارنة فكر الأمير عبد القادر الصوفي مع غيره من المتصوفة. إن أهمية الموضوع تكمن في أن الأمير عبد القادر استطاع بفضل نكاؤه السياسي وحنكته الحربية أن يقوم بتكوين الدولة رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها البلاد. هذا بالإضافة إلى اهتمام الأمير بالتصوف العملي التطبيقي على خلاف غيره من المتصوفة.

وأسباب اختيارنا للموضوع نظرا لأهميته المتمثلة في كونه موضوع حديث الاهتمام من الناحية السياسية والدينية للأمير وصياغته صياغة فلسفية، إذا قمنا باختيار هذا الموضوع نظرا لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

فالأسباب الذاتية تمثلت في اطلاعنا على الموضوع من قبل بحكم تخصصي في الفلسفة ومحاولة توسيع أفكارنا وتطبيق مكتسباتنا من الجانب العملي ، ومن الدوافع التي ألهمتنا لاختيار الموضوع هو رغبتنا في التطلع على الفكر السياسي والديني للأمير عبد القادر، هذا بالإضافة إلى ميولاتنا الشخصية للموضوع، وإزاحة اللبس و الغموض على شخصيات جزائرية وأعمالها.

أما الأسباب الموضوعية فتمثلت في معرفة طبيعة الفكر السياسي والديني للأمير عبد القادر ، والتعرف على الدور الكبير الذي لعبه الأمير في الحفاظ على البلاد والسيادة الوطنية.

أما صعوبات الدراسة لقد واجهتنا في دراستنا لهذا الموضوع مجموعة من العراقيل منها وجود العديد من المراجع إلا أنها تحتوي على نفس المعلومات ولا شيء جديد يؤدي إلى ترجيح فكرة عن أخرى، وجل الكتب الموجودة تتحدث عن الجانب السياسي والعسكري والديني أكثر من الجوانب الأخرى.

الفصل الأول

العلاقات والأوضاع السائدة في
عصر الأمير عبد القادر

المبحث الأول: الأوضاع السائدة قبل عصر الأمير عبد القادر.

المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية الفرنسية وخلفيات الاحتلال.

المبحث الثالث: حياة الأمير والعوامل المؤثرة في تكوينه:

تمهيد:

خضعت الجزائر منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر إلى الحكم العثماني واستمر ذلك إلى سنة 1830م تاريخ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولما كان الأسباب يغزون الشواطئ الجزائرية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي كانت طلائع غزاة البحر العثمانيين ممثلة في الأخوة بربروس عروج وخير الدين وإسحاق وفي آخرين قد وصلوا إلى الحوض العربي المتوسط وأخذت تجوب عرضه جيئة وذهابا ملاحقين بالسفن والشواطئ المسيحية خسائر كبيرة، من الموانئ التونسية التي أذن لهم السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد باستعمالها مقابل دفع الخمس من الغنائم وشروط أخرى، منطلقا ، فذاع سيئتهم وانتشرت أخبار بطولاتهم في الغزو البحري فتوجهت إليهم أنصار المجاهدين الجزائريين في مقدمتهم أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي الذي لما رأى قوة الكفار وانتشاره في المغرب، عن وضعف المسلمون عن مقاومتهم، كاتب الترك وعرفهم عزة هذه البلاد ولما يسمع عن شدة الأتراك في المعارك، وتدخل العثمانيين في الجزائر كان استجابة لطلب الجزائريين ونجدة لهم، ومشاركة في الدفاع عن بلادهم وتحرير ما وقع منها تحت الاحتلال الإسباني.

لكن عروج وجماعته من الأتراك، قبل أن يدخلوا إلى الجزائر أو إلى تلمسان ومحاولة تحرير بجاية لم يكلل بالنجاح وفيها توجه إلى بلدة جيجل التي استولى عليها بقيادة أندري دوريا لتحريرها بالتعاون مع أهاليها وسكان المنطقة المجاورة وقد تمكن عروج من القضاء على الجنوبيون، وتحرير البلدة التي أصبحت منذئذ قاعدة له ومنها شرع عروج وخير الدين في توسيع نفوذ العثمانيين في الجزائر انطلاقا من جيجل ثم مدينة الجزائر وعروج لم يلبث في جيجل مدة طويلة، حيث تلقى دعوة من أهالي مدينة الجزائر.

ومن هنا فنجد الأنظمة العثمانية التي شهدتها الجزائر من 1514 إلى 1830 تاريخ سقوط الجزائر في يد الفرنسيين نجد أن الدولة العثمانية كان حكمها في الجزائر أشبه بحكم

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

عسكري أكثر منه حماية، إذ أنها أبعدت الشعب الجزائري الذي هو المواطن الفعلي للبلاد عن أمور الدولة، والحكم والعسكر، وجعلت دوره فرعياً أكثر منه أساسياً وأصبح الأتراك هم السكان الأصليين ونو فعالية في البلاد، إذ أن كل الأمور كانت بأيديهم والسلطات العليا هم الذي يسيرونها وجل اهتماماتهم كانت أمور سياسية وعسكرية، ولم يهتموا بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية، إذا كان الممول الأساس هو الشعب الجزائري، والزوايا وأصحاب المال، أما الدولة العثمانية فكانت إسهاماتها قليلة إلى أن انعدمت مع مجيء الفرنسيين، وهذه الأخيرة لما دخلت البلاد كثر الفساد وانتشرت السرقة والآفات الاجتماعية واستغلال الشعب، فنجد الجزائر من ويلات الحكم العثماني دخلت في مسيرة استعمارية جعلتها تشهد خراباً في كل النواحي، إلا أن هذا الخراب حرك نفوس الشعوب فظهرت عدة شخصيات حاربت هذا الاستعمار، فها هو الأمير عبد القادر الذي يعتبر من الرجال البارزين والقلائل الذين جمعوا بين العلم والفكر والنسب والدولة.

المبحث الأول: الأوضاع السائدة قبل عصر الأمير عبد القادر.

لقد انضمت الجزائر للدولة العثمانية بعد استتجاد سالم تومي (حاكم ميناء الجزائر) بالإخوة بربروس بعد محاولات الغزو الفرنسي وبالفعل لبي عروج النداء لكنه لم يكمل عمله بوفاة في إحدى حروبه مع الأسبان ضواحي تلمسان فخلفه أخاه خير الدين الذي زوده بجيش من الانكشارية قدر ب2000عسكري مع قوة مدفعية كما أعطى للذين يتوجهون إلى الجزائر تطوعا امتيازات هامة، وبفضل هذه المساعدة تمكن خير الدين من دخول تونس (1546م-943هـ)، وهكذا أدخلت الجزائر تحت نظام الحكم العثماني، الذي كان له تنظيماته التي شهدت عدة تغيرات يمكن تقسيمها إلى أربعة فترات وهي:¹

1- مرحلة البايلربايات:

يمثل هذا العصر آخر عصور الحكم العثماني من حيث ازدهار البلاد من الناحية العلمية والاقتصادية والعمرانية، ويعود ذلك إلى تعاون فئة رياس البحر في القيادة وأبناء الجزائر، وكذلك مساهمة مهاجرو الأندلس في تقوية الاقتصاد الجزائري، حكم خلال هذه الفترة حوالي عشرون حاكم، عاد عدد منهم إلى الحكم مرتين أو أكثر، ومنهم من حمل لقب بايلر باي كحسن بن خير الدين والصالح رايس، ومنهم من كان عبارة عن حلفاء لهم. فترة البايلربايات مرحلة تنظيم داخلي ونشأة لنواة كيان سياسي بحدوده وأقاليمه ومساهمة في رسم خريطة غرب المتوسط لصالح الدولة العثمانية.²

2- مرحلة الباشاوات:

تعتبر مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر، تميزت بالصراع بين فئة الرياس وفئة اليولداش، وبهذا قرر السلطان العثماني إلغاء هذه الرتبة وتعويضها برتبة الباشا³، وقد تمتع

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997) ص:57.

2- عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، (الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، د، ط. 2010)، ص:48.

3- عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 58.

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

الباشاوات بكثير من الامتيازات، كان لهم سهم من الغنائم والعبيد، وحق تقبل الهدايا مما كان هذا المنصب محل أطماع أصحاب البلاط.

تميزت فترة الباشاوات بالصراع على السلطة بين الباشا وفئة الأجواق، هذه الأخيرة حاولت الاستيلاء على السلطة من أيدي الباشاوات فحين سجن حسين باشا سنة 1633م، استلم الديوان زمام السلطة، وقام الأجواق بالقضاء على صلاحيات الباشاوات بالتدريج حتى انتزعت منهم مهمة دفع أجور الإنكشارية ومنحت إلى طائفة رياس البحر.¹

3- مرحلة الأغوات 1859، 1871.

ففي سنة 1659 اعتصب ديوان الإنكشارية إدارة الولاية كلها وقرروا أن يتولى الأغا الحكم عن طريق الانتخاب، ولكي لا يستأثر الأغا بالسلطة فقد تقرر أن يكون الحكم ديمقراطيا بحيث يستعين الحكام بالديوان العالي وحددوا فترة حكمه بسنتين.²

تعتبر هذه الفترة بداية غياب السيادة العثمانية، وتنافس الضباط فيما بينهم للوصول إلى الحكم، فظهرت تكتلات عسكرية داخل الفرق الإنكشارية، عادت البلاد إلى فقدان الأمن والضعف أمام الأعداء الأوروبيين، إضافة إلى أن كل أغا يتولى السلطة يتعرض إلى القتل، فكثر اغتيالات بدءا من خليل أغا الذي قتل سنة 1660م على يد اليولداش، وهكذا كثرت في هذا العهد الاغتيالات والمؤامرات، وتذمر الشعب من تفشي الفساد والفوضى في البلاد.³

4- مرحلة الدايات 1671-1830.

بسبب الأحداث التي توالى على الجزائر خلال مراحل الحكم السابقة، حاول السكان إرضاء السلطان العثماني، وذلك بجعل السلطة في يد الدايات لمدى الحياة، يعين من طرف الديوان العالي، ونتيجة لضعف نشاط القرصنة أصبح الدايات يختار من بين أعضاء

1- جيون ب وولف، أبو قاسم سعد الله، الجزائر وأوروبا، 1830، 1500 (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط. 1986)، ص:134.

2- عائشة غطاس وآخرون، مرجع سابق، ص:49.

3- عائشة غطاس وآخرون، مرجع سابق، ص:57.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

اليولداش الذين أصبحوا يتقلدون الحكم حتى نهاية العهد العثماني 1830م، أما في الحالات العادية بمكان ينتخب من الديوان، بعدها تؤخذ موافقة السلطان العثماني، وتتصيب الداى لا يتم فعليا حتى وصول تأكيد السلطات لانتخابه ووصول القفطان التقليدي وسيف الدولة ورساله بأسرع وقت ممكن، والداى مجبر على العيش تحت حماية عناصر الشواش.

الداى لم تكن له سلطة غير الأمر بتطبيق القوانين المدنية والعسكرية، والإشراف على حصون المدينة، وتنظيم الجيوش، ومراسلة القبائل، والمحافظة على الأمن.

استهل عهد الدايات بالقبطان الحاج محمد التركي الذي كان من قدماء رياس البحر وكذلك ابتعاد الإنكشارية عن التدخل في الحياة السياسية، مما ساعد على الاستقرار، حيث دامت فترة داى إحدى عشرة سنة 1671-1682م، ونهايته كان بالاعتزال لا بالقتل وتولى بعده العديد من الدايات، واجه الدايات في هذه الحقبة بعض الأزمات مثل ازدواجية السلطة، وتوتر العلاقات الخارجية، وتمرد الجند المستمر.¹

أما الفترة الممتدة من أواخر القرن الثامن عشر وتحديدا بعد فترة الداى حسين الذي دامت ولايته سبع سنوات إلى غاية انهيار الحكم العثماني، تميزت بعدم الاستقرار، إذ عاد الجند إلى سابق عهدهم إلى العصيان والتمرد، فأصبحوا يعنون الحكام ويعزلون عما يشاءون، وشهدت البلاد في عهد الدايات الأخير الذي تولى منصب الرئاسة يوم 28 فيفري 1818م، ودامت فترة حكمه إثني عشرة سنة في عهده قام الجزائريون بمهاجمة باخرة الحظ السعيد الفرنسية في مياه عنابة وحطموها فعقد مؤتمر إكس لاشابيل الذي من قراراته إنهاء النشاط البحري و الأسرى في الجزائر وحضرته كل من بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا، وكذلك شهدت هذه الفترة الحلة الإنجليزية عام 1824م، وتم الحصار الفرنسي، كل هذه الأحداث عجلت في القضاء على الكيان السياسي للجزائر.²

1- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ لغاية 1962، (الجزائر، دار المعرفة، د.ط. 2006)، ص: 118.

2 - يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط. د.س)، ص: 125.

المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية الفرنسية وخلفيات الاحتلال.

1- الخلفيات الدينية:

الحقيقة التاريخية أن الصراع الذي كان قائما بين الدولة المسيحية والدولة العثمانية، إنما يعود إلى فجر الإسلام والفتوحات الإسلامية التي تحققت وانتشار الإسلام في أكثر أرجاء المعمورة حتى بات في أوروبا بكاملها، ولعل التعاون الوثيق بين الدولة العثمانية الإسلامية والدولة الجزائرية الإسلامية المؤيد لها في الدفاع عن الإسلام، قد دفع بالدول المسيحية في أوروبا أن تتعاون فيما بينها لعرب المسلمين في الجزائر وفي اسطنبول، حيث ترسخت لدى تلك الدول فكرة ضرورة القضاء على دار الجهاد مدعية أن الجزائر تلجأ إلى محاربة المسيحيين في كل مكان، مما بين أن الغرب الصليبي يكن عداً وحقداً للإسلام والمسلمين. وقد تجسد هذا الكره الشديد في الحلف الصليبي لمؤتمر فيينا عام 1815م وإكس لاشابيل عام 1818م، بحجة تحرير المسيحيين الموجودين بالجزائر وتحطيم قوة الأسطول الذي كان يحمل لواء الإسلام في البحر المتوسط، حيث ظهرت بوضوح فكرة النزعة الطيبة والتضامن المسيحي ضد الجزائر والخلافة العثمانية وولايتها الإسلامية.¹

2- الخلفيات السياسية:

لاشك أن دخول الجزائر تحت حكم الأتراك كان بمثابة إنقاذ لهذه البلاد من الاحتلال الإسباني، وقد تمتعت البلاد في ظل هذا الحكم ولفترة طويلة بمكانة مرموقة وهيبة دولية، لكن بنهاية القرن السادس عشر بدأت البلاد تأخذ منحرجاً خطيراً، فتفاقت الاضطرابات والصراع على الحكم، وكثرت الاغتيالات والمؤامرات.

1- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرس 814ق م 1962 م (الجزائر، دار العلوم، الجزء الأول، د.ط.د.س)، ص: 130-131.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

إن الصراع على الحكم والتنافس من أجل كسب الأموال والثروات بشتى الطرق هو الذي طغى على التركيبة السياسية، الأمر الذي جعل أوروبا تتحالف للقضاء على الدولة الجزائرية.

- حرص فرنسا على إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر ينبع من رغبتها الشديدة في استغلال خيرات البلاد الاقتصادية واحتكار استثمار المرجان الذي كان ساحل القالة وعنابة يزخر به.

- عقد فرنسا مع الجزائر اتفاقية للصدقة والتحاف العام 1534 وتعد هذه السنة بداية العلاقات بين الدولتين ابتداء من 29 مارس 1619 إلى غاية 05 يوليو 1830 حوالي 57 معاهدة تخدم أكثر مصالح فرنسا، وكذلك تعاقب حوالي 96 قنصل وسبعون دبلوماسيا بالجزائر، فأطماع فرنسا التوسعية كانت تحول دوما دون استقرار علاقاتها السياسية مع الجزائر.

وهناك عدة أسباب للنزاع بين فرنسا والجزائر أهمها:

- تطلع فرنسا إلى تحقيق مكاسب واسعة في الجزائر.
 - اعتماد أسلوب القوة تجاه أي خلاف ينشب ما بين تجارتهما وتجارة الجزائر.
- ولم تكن العلاقات السياسية في أغلب مسيرتها التاريخية بالودية، بل كثيرا ما كانت تتوتر إلى درجة الصدام العسكري، فمنذ أن تم إنشاء المركز التجاري الفرنسي بساحل القالة وعنابة حرصت فرنسا على تعيين قناصل لها بالجزائر ليتولوا رعاية مصالحها التجارية والسياسية، حيث كان معظم القناصل الفرنسيون الذين تعاقبوا على الجزائر تجارا، وكان أول تمثيل دبلوماسي عام 1578 بتعيين قنصل لفرنسا بالجزائر، ونزل القنصل الفرنسي سورون واستقبله الداوي جعفر باشا بالعاصمة واستمر هذا التمثيل قائما إلى غاية حادثة المروحة عام 1827، ومنذ ذلك الحين ظهرت مشروعات سياسية لاحتلال الجزائر. وأقدمها مشروع شارل التاسع الذي اقترح على السلطان العثماني سليم

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

الثاني تعيين أخيه هنري الثالث ملكا على الجزائر مقابل دفع الجزية سنويا، فكان جواب السكان السخرية منه ومن اقتراحه الساذج.¹

كما أن شارل العاشر كان يرغب في إيجاد تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر الأبيض المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية، الذي كان يعتبر في نظر الملك تابعا للإمبراطورية العثمانية، لقد أكدت الحكومة الفرنسية عام 1620 رغبة في تحسين علاقاتها مع الجزائر.

فسافر من أجل هذا الغرض وفد جزائري برئاسة سنان باشا إلى مرسيلا ليعرض وجهة النظر الجزائرية في أسس العلاقات المشتركة، وأثناء الاجتماع وصلت شائعات حول مهاجمة الأسطول الجزائري لبعض السفن الفرنسية، فأقدم الفرنسيون على قتل الوفد الجزائري، فكانت هذه الحادثة سببا في قطع العلاقات الدبلوماسية وإعلان الجزائر الحرب على الأسطول الفرنسي في البحر المتوسط، مما ألحق بالتجارة الفرنسية أضراراً فادحة. وكعادة الحكومة الفرنسية بعد كل نزاع مع الجزائر توجهت مجدداً إلى السلطان العثماني مطالبة إياه بالتدخل لإعادة التعاون التجاري مع الجزائر.

وفي أوساط عام 1814م، اجتمع عدد من الساسة الأوروبيون في مؤتمر عام لأول مرة بمدينة فينا وطرح أمامهم عدة مشاكل منها ما أسماه "القرصنة" المغربية، ومسألة تجار الرقيق وتحرير المسيحيين بالجزائر، وهكذا بدأت الدول الغربية في تدويل قضية الجزائر والذي أعلن والمغرب والخلافة العثمانية في مؤتمر فينا أعلن وأكد قراراته بتاريخ 9 يونيو 1815 تحريم القرصنة والاسترقاق في الجزائر أصلاً وفي تونس وطرابلس بالتبعية، وهذا ما بين استمرار الافتراءات والانتهاكات الغربية حينما ترغب تلك الدول في تحقيق مشروعها الاستعماري الاستيطاني تلجأ إلى كل التأويلات والحيل ومن بينها تأويل مصطلح "الجهاد" والدفاع عن الدين والوطن والقرصنة والاسترقاق.

1- صالح فركوس، مرجع سابق، ص: 133 - 134

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

وهكذا بدأت أهمية الجزائر الاستراتيجية وسياسيا واقتصاديا، تتأكد لفرنسا منذ مطلع القرن 19، ومن المؤكد أن القنصل الفرنسي "دوفال" كان أحد أنصار الداعين بإلحاح شديد لاحتلال الجزائر، وتقع عليها مسؤولية تعقيد مشكل الديون وتمثيل مشهد حادثة المروحة للقضاء على دار الجهاد وفتح المجال لانحراف الكنيسة ومحاربة الإسلام وإعادة الفساد في مختلف أرجاء البلاد.¹

3- الخلفيات الاقتصادية:

- لقد كان حرص فرنسا على امتلاك الجزائر اعتقادا منها أنها ستحصل على غنيمة تقدر ب 150 مليون فرنك توجد بخزينة الداوي. كما كان حرصه الشديد على إقامة علاقات دبلوماسية من أجل استغلال خيرات الجزائر الاقتصادية وقد نجحت فرنسا بفضل علاقاتها الودية مع الدولة العثمانية في تأسيس أول شركة فرنسية لاستثمار المرجان شركة لانس.
- تعرضت فرنسا مع بداية الثورة الفرنسية 1789 إلى حصار سياسي، عسكري واقتصادي في أوروبا المعادية للثورة الفرنسية، وكانت فرنسا جراء هذا الحصار تقاتل أزمة اقتصادية وهذا ما كلف القنصل العام بالجزائر على شراء أكبر كمية من قمح الجزائر فعرض القنصل الموضوع على الداوي حسين الذي وضع تحت تصرفه الفائض من الحبوب وكان اليهوديان "بكري وبوشناق" اللذان قدما من إيطاليا إلى الجزائر عام 1770م حيث حصلوا على موافقة هذا الداوي باحتكار تجارة الحبوب ودفع علاوات للدولة، ليلعبا الدور في التمهيد لاحتلال الجزائر.²

4- الخلفيات العسكرية:

دخلت كل من فرنسا والجزائر في تحالف عسكري، فقد عقدت مع الجزائر معاهدة دفاعية، بمقتضاها استتجد الملك الفرنسي "فرنسوا الأول" (1515م - 1574م) بالقوات البحرية الجزائرية مرتين لتحرير مرسيليا من الثوار الهجينون البروستانت عام 1936م،

1- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، مرجع سابق، ص : 15.

2- محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي المعاصر، (دمشق د.ط. 1997)، ص: 18-19.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

ومن اعتداءات تيار لكان الإسباني عام 1543م، قد كان هذا التحالف العسكري نتيجة لحاجة فرنسا الدفاعية لمواجهة إسبانيا والتي كانت العدو المشترك بين الدولتين وحاجة الجزائر إليه من الناحية الإستراتيجية :

أولاً: لمنع تكتل أوروبي قوي ضدها.

ثانياً: لتحطيم القوة الإسبانية البحرية التي كانت تسعى لفرض سيادتها على البحر.¹

ومن أهم تلك الحملات حملة عام 1682م، التي حاصرت مدينة شرشال لمدة شهرين وأمطرت المدينة بوابل من القذائف التي تركت خراباً كبيراً بالمدينة والتي كاد والي المدينة أن يستسلم لكن الجزائريين ثاروا عليه واضطروا قائد الحملة "دوكسين" « duqusine » إلى رفع الحصار والعودة من حيث أتى، وقد أعاد لويس الرابع عشرة الكرة عام 1688م فوجه الأميرال "دستريس" « distress » على رأس حملة كبيرة قذفت المدينة، ورغم انتهاج نابليون لسياسة المهادنة مع الجزائر في حملته على مصر عام 1798 وحرصه على استمرار العلاقات الطيبة معها، فإن النزعة الاستعمارية جعلت منه مخططاً عسكرياً لاحتلال الجزائر.

وهكذا صارت فكرة الاحتلال ملحة التي كانت طموح فرنسا منذ أن تأسست الشركة الملكية الإفريقية بميناء القالة وعنابة، ثم أن الإستراتيجية العسكرية التي تبناها الداي حسين في الحقيقة إستراتيجية ارتجالية لا تستند إلى أي دراسة علمية أو عسكرية.

- هذا بالإضافة إلى معركة "نافارين" في 20 أكتوبر 1827م "التي حطمت تقريباً الأسطول البحري الجزائري، بالإضافة إلى عدم تحصين شاطئ سيدي فرج واتخاذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب من طرف الأغا إبراهيم، تلك العوامل العسكرية جميعها أدت إلى حصار الجزائر ثم احتلالها.

1- عزيز سامع نزيه، محمود عامر لأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، (بيروت، دون دار نشر، د.ط. 1989)، ص: 648-650.

5- التواطؤ اليهودي الفرنسي واحتلال الجزائر:

لو تصفحنا تاريخنا قديمه وحاضره لوجدنا أن أزماتنا ومشاكلنا وأخطرها على الإطلاق الاحتلال، إنما كان بسبب اليهود، لكن اليهود قد وجدوا من ساعدهم على ذلك ومد لهم كل العون، ولم يكن اليهود يعملون من غير هدف، وقد عرفناهم في التاريخ الإسلامي لأي حد كانوا يكيّدون للإسلام والمسلمين، لقد حاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم وحذرنا القرآن الكريم من كيدهم ومكرهم، إلا أن القليل جدا منا يتعظ ويعتبر، وهكذا كان احتلال الجزائر بمثابة جريمة انتحار لمن مكن اليهود وأطلق أيديهم الملطخة بدم الأنبياء.

لقد استطاع بكري وبوشناق إقناع المسؤولين الفرنسيين باستيراد القمح الجزائري من شركتهما وقد بلغت ديون الجزائر على فرنسا 24 مليون فرنك التي قامت فرنسا بتخفيضها إلى سبعة ملايين، ثم قرر البرلمان الفرنسي دفع مليون ونصف فرنك المستحقة لليهوديين، فقامت فرنسا بتجميد الديون واعتبر الداى إهانة في حق الجزائريين، وقامت فرنسا بمخادعة حكومة الجزائر، وناشد الداى حكومة فرنسا بعدم تجميد أموال الخزينة.¹ حرصت فرنسا على استغلال حادثة المروحة إلى أقصى حد ممكن واتخذت منه ذريعة واستدعت السفراء وأخطرتهم بـ "الإهانة"، وإذا لم تتلقى من الداى الترضية ستفرض الحصار.²

لم يكن موقف الدولة العثمانية بالمشرف، حيث حاولت التوسط بين فرنسا والجزائر، نظرا للوضع الضعيف الذي أصبحت عليه. فعدم مواكبتها للتطور الحضاري، وضعف شخصيات سلاطينها وتمرد الزعماء المحليين عليهم، كل هذه العوامل جعلت من الدولة العثمانية أبعد ما تكون عن استخدام القوة للتدخل من أجل حماية ولايتها واقتصرت على

1- صالح فرкос، مرجع سابق، ص: 136.

2- محمد العربي الزبيرى، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوطربة (دب. د. ط، 1979)، ص: 13-14.

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

إرسال مبعوث خاص هو "طاهر باشا" لتبديد الخلاف بين الداوي وفرنسا، لكن وساطة الدولة العثمانية قد باءت بالفشل بعد مرات نزلت الحملة الفرنسية بأرض الجزائر.¹

المبحث الثالث: حياة الأمير والعوامل المؤثرة في تكوينه:

1- أصله:

يعود أصل الأمير وأسرته للأدارسة الذين كانوا ملوكا في المغرب بالأقصى والأوسط والأندلس، ويعتبر السيد عبد القوي الأول، أول أجداد الأمير عبد القادر الذين نزحوا عن المغرب الأقصى، واستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف من أعمال الجزائر، وذلك بعد أن اشتدت الفتن واضطربت الأحوال في مراكش.

وقد اشتهرت سلالة الأمير عبد القادر وعائلته بالعلم والتقوى والجهاد، فكانوا بذلك موضع تقدير واحترام الجميع، يرجع إليهم في كل صغيرة وكبيرة وبالتالي استطاعت أسرة الأمير أن تبسط نفوذها على القبائل النازلة في نواحي الغرب الجزائري المتاخمة للمغرب، وخاصة في عهد السيد محي الدين والد الأمير عبد القادر الذي اشتهر بالعلم والتقوى وشدت إليه الرجال من الضواحي والأمصار لتلقي العلوم والأدكار، وقد جب الله النفوس على محبته والقلوب على مودته، وكان يلقب بالشريف لانتسابه إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كان يمثل شيخ الطريقة القادرية بالجزائر التي تنسب إليها أسرة الأمير في عهد جده السيد محمد المعروف بالمجاهد، ولذلك كانت قبيلة بني هاشم تنظر إليه نظرة ولي من أولياء الله.²

وقد تزوج الشيخ محي الدين والد الأمير من أربع نسوة رزق منهن بستة أولاد، كان الأمير ثانيهم من زوجته الثالثة السيدة "زهرة" ابنة سيدي محمد بن دوحة الحسنية والتي توفيت عن عمر يناهز الثمانين سنة.

1- العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، دس)، ص: 57

2- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، (باتنة، عبد العزيز سعود البابطين، د.ط، 2000)، ص:

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

مما سبق يتبين لنا أن الأمير قد حاز كل أسباب الشرف والعزة، فنسبه الحسيني ينتهي إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وأجداده علماء أفاضل بلغوا أسمى مراتب المجد والعز بين أهلهم وفي أوطانهم، فلا غرور إذ أن ينهج الأمير مسلكهم ليزيد عزهم عزا وشرفهم شرفا و به اكتملت حلقات العقد، وباسمه اشتهرت أسرته ولا تزال.¹

هو الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن مختار، بن عبد القادر، بن أحمد المختار، بن عبد القادر، بن أحمد المشهور بابن خده، بن محمد، ابن عبد القوي، بن علي، بن أحمد، بن عبد القوي، بن خالد، بن يوسف، ابن أحمد بن بشر، بن محمد، بن مسعود، بن طاووس، بن يعقوب، ابن عبد القوي، بن أحمد بن مجاهد، بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثني، بن الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب، وأم الحسن فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود - محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم.

وتوجد بتحفة الزائر للأمير محمد قصيدة طويلة تحدث فيها ناظما عن هذا النسب الشريف هو السيد "محمود الحمزاوي" يقول في مطلعها:

ياحبذا الوعد والإنجاز يصحبه * * * حاشا علاكم بأن الخلف يعقبه.

حيا، فأحيا ظنونا غير نائية * * * لولاه كانت قضت مما تراقبه.

وقد كان عبد القادر يكنى بأبي محمد، أما ألقابه فهي متعددة أطلقت عليه في المناسبات المختلفة منها: أمير المؤمنين، ناصر الدين، الأمير الجزائري، ابن الراشدي، ابن خلاد.²

2- مولده ونشأته:

ولد يوم الجمعة الموافق للثالث والعشرين من شهر رجب سنة إثنين وعشرون ومائتين وألف للهجرة (122هـ-)، الموافق لشهر مايو (أيار) سنة سبعة وثمانمائة وألف

1- عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص: 28-29.

2- الأمير محمد بن الأميري عبد القادر، تحفة الزائر، تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ممدوح حقي، (بيروت، منشورات دار اليقظة العربية، ط2، 1964)، ص: 28-29.

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

للميلاد (1807م) بقرية اختطها جده لأمه غربي مدينة معسكر، من إيالة وهران، وتسمى القيطنة بالقطر الجزائري.

نشأ الأمير وترى في محيط ديني علمي ثقافي، وكان موضع اهتمام وعناية كبيرة من طرف والده الذي مال إليه ميلا خاصا فأحاطه برأفته وحنانه أنه كان يتوسم فيه المجد، فقد كان هناك على ما يبدو سر غامض وعاطفة غير محددة، يدفعان الأب إلى أن يخصص اهتماما غير عادي للطفل الذي سيكون مستقبله محفوا بهالة مجيدة ومرتبوا بمستقل بلاده.¹

التحق عبد القادر بمدرسة والده بالقيطنة وهو في الرابعة من عمره، فكانت ملكاته العقلية علة نبوغ غير عادي فقد كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، بما أنس الشيخ هذا الاستعداد الكبير وما تحلى به عبد القادر من إمارات الذكاء والفتنة بذل والده خالص جهده في تثقيف ولده وإتاحة الفرص أمامه لرتع من مناهل الثقافة والأدب.² وما أن بلغ عبد القادر الثانية عشرة من عمره، حتى أصبح في عداد حفظة القرآن الكريم، متمكنا من الحديث وأصول الشريعة، وبعدها بسنتين أصبح في مقدور الشاب عبد القادر أن يلقي دروسا في الجامع التابع لأسرته في مختلف المواد الفقهية. وإدراكا من محي الدين أن العقل السليم في الجسم السليم، راح يشجع ابنه على الفروسية، وركوب الخيل، ومقارعة أنداده، والمشاركة في المسابقات التي تقام آنذاك، فأظهر تفوقا مدهشا.

3 - العوامل المؤثرة في تكوينه:

وبعد أن اكتملت للشباب المؤهلات الجسمية والعقلية في مسقط رأسه بالقيطنة، قرر أبوه إيفاده إلى وهران للأخذ عن علمائها وتوسيع معارفه، فانظم إلى طلاب مدرسة المدينة التي كانت بإشراف أحمد بن الخوجة، ومكث بها سنتين طالبا للعلم والمعارف،

1- وديع نادر، الأمير عبد القادر الجزائري، (بيروت، مجلة المورد الصافي، د ط، 1911)، ص: 198.

2- تشرشل، شاعر لهزري، أبو قاسم سعد الله، حياة الأمير عبد القادر، (تونس، منشورات الدار التونسية للنشر، د.ط، 1974)، ص: 256.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

شغوفاً بالدراسة والتحصيل، فازداد تعمقاً في الفقه، وطالع كتب الفلاسفة وتعلم الحساب والجغرافيا، على يد الشيخ أحمد بن الطاهر البيطوي قاضي أرزيو الذي كان مشهوراً في ذلك الوقت بغزارة العلم وسعة الإطلاع.¹

وقد دامت رحلة عبد القادر العلمية هذه ما يقارب السنتين (1237-1239هـ) (1821-1823م) ليعود بعدها إلى بلدته القيطنة، التي لم يمكث بها طويلاً، حتى بادر والده الشيخ محي الدين - وقد رأى علامات الرجولة جسدياً وعقلياً قد اكتملت في ودله - إلى تزويجه وانتقى له فتاة جمعت محاسن الخلق والخلق والنسب الشريف، وهي ابنة عم عبد القادر، التي كانت مثله تتمتع بجمال وأخلاق عالية، وقد تم حفل زفافه على الطريقة الإسلامية، وكان عمره آنذاك الخامسة عشر.

وتزامنت شهرته العلمية مع فروسية خاصة، وكان عبد القادر يعيش مرحلة الشباب الحقة بما فيها من قوة وشجاعة وتحمل، ولذلك فلا عجب أن نراه وهو صاحب السبعة عشر ربيعاً، يشار إليه بالبنان لشدة البأس وقوة البدن والفروسية، وبذلك عود نفسه وروحه على تحمل الشدائد والصعاب، وكأن الأقدار تهيؤه لمستقبل يتطلب تربية خاصة، فلا غرابة أن يرى وهو أمير بعد ذلك يقوم بتلك الأدوار المدهشة التي أثارت استغراب وحيرة أعدائه (عدم النوم خلال أسابيع والتعرض للصدام وندرة إغماد سيفه)، فقد كان صحيحاً ما قيل عنه من أن سرجه كان عرشه.

وعلى الرغم من الثراء الذي كانت تتمتع به أسرة عبد القادر، إلا أن ذلك لم يدفعه إلى اللهو والترف، بل كان متواضعاً ووسطاً في كل الأمور، ومع هذا التواضع كان ذا جاذبية ساحرة مع بساطة وأناقة في لباسه، متواضعاً، إلا أنه كان شغوفاً بتزيين سلاحه، فقد كانت بندقيته التونسية الطويلة مرصعة بالفضة، أما مسدسه فقد كان مرصعاً بالجواهر.

1- عبد الرزاق بن السبع، مرجع سابق، ص : 15.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

وكانت هواية الأمير المحببة إلى نفسه كثيرا، رياضة الصيد، التي كان يمارسها برغبة وحب شديدين، بحيث كان كلما انتهى من واجباته العلمية والدينية يأخذ معه خادمين أو ثلاثة، ثم يقصد الغابات والبراري، عكس أنداده من الشباب الآخرين الذي كانوا يعون رحلات الصيد مظهرا استعراضيا، حيث يتقدمون مع حاشية كبيرة من الخدم والصقور والكلاب¹

وإثر عودته من رحلته كان يؤوب إلى دروسه وقد تجدد نشاطه وأصبحت نفسه مستعدة أكثر من ذي قبل للتحصيل والاستيعاب، ذلك أن مثل هذه الأمور لم تكن تشغله عن القيام بواجباته الأساسية العلمية أو الدينية.

ولقد جمع الأمير عبد القادر بين رقبتي السيف والقلم مما زاد أباه إعجابا وفخر به، فكان لا يقدم على عمل دون استشارته، ولا يحضر مناسبة اجتماعية أو سياسية إلا برفقته. وإثناء إقامته الجبرية في وهران مع والده 1823_1825 والمكانة العلمية التي كان يتمتع بها محي الدين أوغرت صدر بعض معاصريه فوشى به إلى حسن بك حاكم وهران فبعث حسن بك إلى محي الدين يأمره بالسكن في وهران وقد استمرت هذه الإقامة الجبرية في وهران فكان الأمير ووالده محي الدين حقا سجينين دولة مدة سنتين وقد بث حاكم وهران من حولهما الرقباء والجواسيس يحصون عليهما حركاتهما وسكناتهما وقد استفاد محي الدين وولده من هذه العزلة المفروضة عليهما وخصصا أوقاتهم لدراستهما المفضلة واستطاع عبدا لقادر أن يصل إلى حقيقة هامة يشاركه فيها والده وهي ضعف الأتراك السياسي والعسكري مع اتساع استغلالهم لطبقات الشعب الجزائري

وعندما أفرجت الحكومة التركية عن والده وأذنت له بأداء فريضة الحج عام 1825م اصطحبه معه دون سائر أخواته نظرا لما يتسم من نباهة وفطنة إلى جانب معارفه الواسعة وشجاعته الحكيمة غادر محي الدين و والده وهران في ربيع الثاني 1825م وقد وصلا تونس مارين بالمدية وقسنطينة وبعد رحلة بحرية استغرقت حوالي خمسة عشر

1- أبو القاسم سعد الله، مذكرات الأمير عبد القادر، (الجزائر، دار الأمة، د.ط، 2007)، ص: 42-43.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

يوماً وصلاً إلى الإسكندرية وزارا القاهرة وهنا رأى الأمير محمد علي باشا لأول مرة وقد أكرمهما محمد علي باشا وأطهما محلاً رفيعاً .

وبعد وصولهما إلى مكة أديا فريضة الحج ثم قصدا المدينة المنورة لزيارة الحضرة النبوية الشريفة ومنها توجهها إلى دمشق وقد مكث في دمشق عدة أشهر في الدرس والتفتيح وكان يقضيان جل وقتهما في الجامع الكبير كان يدرس فيها كبار العلماء بالجامع الأموي وغيره من ذلك إنهما قرأ الحديث وصحيح البخاري بالجامع الأموي على الإمام المحدث عبد الرحمن الكزبري وقد اخذ الأمير في إثناء إقامته بدمشق الطريقة النقشبندية عن العارض الله الشيخ خالد النقشبندي السهروردي فسمع علوماً شتى في التوحيد والتصوف¹

ثم سافرا إلى بغداد فزارا ضريح القطب الباني سيدي عبد القادر الجيلاني واخذ الأمير الإجازة بالطريقة القادرية وبعدها مكثا ثلاثة أشهر في بغداد عادا إلى دمشق ومنها إلى مكة والمدينة حيث أديا فريضة الحج للمرة الثانية وعندها لانتهاء من أداء المناسك بدأ طريق العودة حيث عرجا على القاهرة فأقاما فيها مدة قصيرة اجتمعا في إثنائها بعلمائها وفضلائها ونزلا في قبيلة هاشم حاملين لقب الحاج وكان ذلك في أوائل عام 1827م بعد غياب دام سنتين لقد أتاحت هذه الرحلة للأمير فرصة الاطلاع على الأوضاع البلاد وسير حياتهما في الحكم والإدارة ومختلف الميادين السياسية والاجتماعية ولم يزدد عبد القادر بعد هذه الرحلة إلا شغفاً بالعلم كل ما وصلت إليه يده من كتب العلم والفلسفة "كرسائل إخوان الصفاء" وإعمال أفلاطون وفيتاغورس وأرسطو واشرب التصوف من خلال كتب محي الدين بن عربي وكتب ابن سينا وغيرهما ودرس كتابات مشاهير المؤلفين من عهود الخلافة العربية عن التاريخ القديم والحديث وتعمق في الفقه والحديث والجغرافية والفلك والبلاغة²

1 - فؤاد صالح ، مرجع سابق، ص:67.

2 - أباطة نزار، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، (سورية، دار الفكر، ط1)، ص:66

لم يظفر الأمير عبد القادر وأبوه بالأمان والاستقرار في بلديهما فلم يلبثا إلا قليلا حتى بدأت نذر الغزو الفرنسي تهدد البلاد¹ والعباد بدعوى الاقتصاد، حيث تولى الداوي حسين باشا ولاية الجزائر سنة 1818م، وكان الفرنسيون أنفسهم، بصفوته بالتعقل والحزم، وفي عام 1828م حصلت مناظرة بين الداوي حسين ودوفال قنصل فرنسا، فمد الداوي يده إلى القنصل لضربه بالمروحة ولم تقه إساءة الأدب من القنصل وقد أعترف بها المؤرخون الفرنسيون أنفسهم مصادفة كان هذا القنصل يثير الداوي عمدا، ولقد حرصت فرنسا على استغلال حادث المروحة إلى أقصى حد ممكن وسعت إلى كسب عطف دولي لما ستخذه من إجراءات فاستدعت سفراء الدول الأجنبية، وأخطرتهم بالإهانة التي لحقت ما أسمته شرف الملك ويمكننا أن نقدم الأسباب التالية لحقيقة الحملة الفرنسية على الجزائر²

فرنسا فقدت معظم أجزاء إمبراطوريتها الأولى إبان حروب الثورة الفرنسية ونابليون، وفي معاهدة باريس سنة 1815م تنازلت لإنجلترا على معظمها، فاعتقدت أنها ستعوض مكانتها المتداعية في الرأي العام إذا أحرزت نصرا خارجيا واستمر روح التعصب الديني في أعماق نفوس السياسة الفرنسيين، إذ كانت الجزائر تنتزع الجناح الإسلامي في شمال إفريقيا الدينية، ومن شواهد النزعة الدينية لدى فرنسا أنه عند احتلال الجزائر أقيمت الصلوات قال فيها قسيس الجيش لقائد الحملة ديبرمون لقد فتحت بابا للمسيحية في إفريقيا والتخلص من آثار معاهدة فينا فاحتلال الجزائر سيكون أول عمل تخالف به فرنسا القرارات التي فرضها عليها الحلفاء عام 1815، وكذلك اختفاء معظم وحدات الأسطول الجزائري التي ذهبت لنجدة الدولة العثمانية في حربها مع دول أوروبا، وتحطمت في معركة نافارين البحرية سنة 1827م³

1 عبد الرزاق بن السبع، مرجع سابق، ص: 11.

2_ عشراتي سليمان، مرجع سابق، ص: 54.

3- عبد الرزاق بن السبع، مرجع سابق، ص: 18.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

عرض الفرنسيون على محمد باشا بعد توليه الحكم في مصر أن يشاركهم في فتح إفريقيا الشمالية وان يقاسمهم إياها ولكنه رفض وأثر إنشاء إمبراطورية عربية في المشرق، فانفردت فرنسا بتدبير الحملة منذ أن اتخذ مجلس الوزراء الفرنسي قراراً نهائياً بهذا الخصوص في 5 شعبان 1245هـ / 30 كانون الثاني 1830م، وقد عينت الحكومة الفرنسية وزيرها للحربية المارشال "ديرمون" قائداً عاماً للحملة والأمير "آل دوبري" قائداً للأسطول، وفي 25 أيار 1830م غادرت الحملة الفرنسية المؤلفة من أربعين ألف جندي وأربعة آلاف فارس وأسطول عظيم -ميناء طولون الحربي- برئاسة وزير الحرب ديبرمون متجهة إلى الجزائر، فوصلتها في 31 أيار 1830م وهجمت القوات الفرنسية على ميناء سيدي فرج في 13 حزيران 1830م ، وبعد حروب ووقائع مهولة دامت 22 يوماً وفي 1830 استطاعت القوات الفرنسية احتلال العاصمة الجزائر بقليل من الجهد، وسهل عمل الفرنسيين بفقدان الروح القومية وفشل التعبئة الدينية، أي الاختلافات بين المسلمين.¹

ثم وضع وثيقة الاستسلام، فوافق الداوي على شروطها، ووقعها ثم سلم المدينة إلى القائد العام، و في 1833 فدخلها الجنود الفرنسيون ونكسو رايات من الدولة العثمانية، ثم أخذت فرنسا - بعد استيلائها على الجزائر ورحيل الداوي إلى المشرق- تتصل بالدولة العثمانية لتسلمها الجزائر، وأرسلت بهذا الشأن العديد من الرسائل إلى القسطنطينية، حيث وقعت 1830 التي أطاحت بحكم شارل العاشر 1830 المسؤول عن احتلال الجزائر، وجاء بحكم لويس فيليب الذي استمر إلى سنة 1848، فعزم لويس فيليب على إبقاء الجزائر بيد فرنسا.²

كما تميز الأمير بمرحلتين هامتين المرحلة الأولى من 1830_1832م ويطلق عليها بمرحلة الجهاد الشعبي التي عقدوا فيها مشاورات طويلة فلجؤوا إلى محي الدين عارضين

1- الأمير محمد بن الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص: 64-65.

2- صالح فركوس، مرجع سابق، ص: 54.

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

عليه تولي الإمارة فاعتذر إليهم متذرعاً بشيخوخته وأشار عليهم بإيفاد وفد إلى سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الرحمن بن هشام للانضمام إليه ومبايعته فرضي السلطان وأوفد ابن عمه علياً بن سليمان أميراً على البلاد فاتخذ تلمسان مقراً رسمياً له وكاد الأمر يستقيم لولا فرنسا لم يرق لها مثل هذا الصنع فأوعزت إلى سفيرها الرسمي بطنجة أن ينذر السلطان الولي عبد الرحمن بعداوة فرنسا لها وإعلانها الحرب إذا لم ينسحب ابن عمه فطلب السلطان من ابن عمه الانسحاب من الجزائر أواخر رمضان 1831م فانسحب بعد أن توليه زمام الحكم ستة أشهر وترك أحوال المغرب الأوسط على ما كانت عليه من الفوضى والاضطراب فاجتمعوا مرة ثانية والحواء على محي الدين في قبول بيعتهم له على الإمارة والجهاد فرفض منصب قبول الإمارة وقبل تولي أمر الجهاد وفرضي على أن يتولاها ابنه عبداً لقادر فقبلوا بإمارته مسرورين وكان الأمير عبد القادر في ذلك الوقت يحارب الفرنسيين في مكان يدعى بحصن فيليب فقصدوه وعرضوا عليه اقتراح أبيه قائلاً لهم أنا لها وفي 1832م عقدوا البيعة الأولى الخاصة بدأت الوفود تتولي فانعقد مجلس عام حضره جمهور من الإشراف والعلماء والرؤساء من كل القبائل وجرى البيعة الثانية العامة في قصر الإمارة في رمضان 1833م وحرر عقد البيعة السيد محمود بن المجاهري.

المرحلة الثانية من 1832_1847م ولما توالى انتصارات الأمير وجيشه اضطر الجنرال ديميشل حاكم وهران أن يعقد معه معاهدة في 1834م عرفت بمعاهدة ديميشل وعمل الأمير على إنشاء دولة قوية متحدة لها كيانها ودستورها ونظامها ثم عمداً الفرنسيون إلى نقص الهدنة فتجدد القتال اضطر الجنرال بيجو حاكم وهران الجديد إلى عقد المعاهدة أخرى مع الأمير سميت بمعاهدة تافنا 1837م وكانت هذه المعاهدة بالنسبة لعبد القادر حيز الزاوية في الصرح الإصلاحية الذي كان يشيده منذ أمد طويل بمشقة ومثابرة وفي 1837_1839م دفع عبداً لقادر خطته الإصلاحية إلى الأمام بسرعة فائقة،

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

وكان هدف عبد القادر هو جعل عرب الجزائر شعبا واحدا كما اهتم بالتعليم وجمع المخطوطات والكتب ووضعها في أماكن أمينة في الزوايا والمساجد.¹

ثم استمرت الحرب بين الأمير والفرنسيين في 1839م فدخلت العلاقات الفرنسية الجزائرية مرحلة جديدة ذلك أن رئيس الوزراء الفرنسي "سولت" من أنصار الاحتلال الشامل ولذا عهد إلى الجنرال بيجو بتنفيذ هذه السياسة كما تحمس أهل الريف بالمغرب الأقصى واشتعلت فيهم نار الغيرة وطلبوا إليه أن يأتي ويتولى عرش مراكش فلم يقبل بذلك أن الظاهرة الإنسانية هي التي حملت الأمير على رفض قبول أهل الريف وهذه الظاهرة نفسها هي التي حملته على التنازل عن الإمارة لسلطان مراكش على أن يساعده في تخليص الوطن الجزائري بات الأمير وحيدا فقد عادت فرنسا بعد انتصارها على مراكش في معركة وادي ايسلي في 1844م تطالب سلطان مراكش بتنفيذ مضمون الهدنة المعقودة بينهما ومن شروطها تسليم الأمير عبدا لقادر للفرنسيين في طاعة الأوامر لفرنسا فجهز السلطان جيشا قاده ولداه احمد ومحمد في 1847م فأصبح الأمير بين نارين فآثر الاستسلام للفرنسيين استسلم الأمير عام 1847م على يدي الجنرال "لامورسيير" على شروط منها

1- أن يذهب الأمير وأسرته إلى مكة والإسكندرية

2- يخبر ضباط الأمير وجنوده بين أمرين: إما البقاء في الجزائر وإما مرافقته إلى منفاه

فقبل الجنرال الشروط بدون تردد وسر لانتهاء متاعب فرنسا في حربها ضد الأمير واخبر فرنسا بذلك فابتهجت باريس وفي سنة 1847م ركب أمير وعائلته وأتباعه السفينة اسمودس حيث توجهت بهم إلى طولون²

1- محمد بن الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص: 82

2- عشراتي سليمان، مرجع سابق، ص: 142

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

وبعد قيام الجمهورية الفرنسية الثانية، وسقوط الملكية طلب رجال الحكومة الجمهورية منه أن يتعهد بعدم الذهاب إلى الجزائر، فتعهد بذلك كتابة هو ورجاله في 6 شباط 1848م.

وأخيرا وصله الجواب الذي طال انتظاره، فكان مضمونه: "إن الجمهورية لا ترى نفسها مقيدة بأي التزام لعبد القادر وإنما تعتبره كما تركته الحكومة السابقة أسيرا، ولم تكف بهذا بل ضيقت عليه، وحرمته من كتابة الرسائل، ومنعت الناس من زيارته إلا بإذن خاص من وزارة الحربية.

وبعد أن مكث الأمير مدة في طولون، نقلوه ومن كان معه إلى سرايا بو (pau)، عند الحدود الفرنسية الإسبانية، فوصلها في 21 نيسان 1848م، ولم تمضي ستة أشهر من تاريخ وصوله إلى سرايا بو حتى نقلوه إلى مدينة بوردو (bourdeau)، فإلى مدينة نانت (nantes)، ومنها إلى سرايا أمبواز (Amboise) التابعة لمقاطعة أورليان (Orléon).

ووجد الأمير الجريح العزاء والسلوى في كتبه ودراساته وعبادته ' فقد داوم في تلك المدة على تدريس العلم، وعكف إلى جانب التدريس والمطالعة على الكتابة والتأليف، ومما ألفه خلال إقامته بأمبواز، رسالة سماها (المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد)

وفي 17 تشرين الأول 1852م، زار البرنس لويس نابليون (le princr luois Napoléon) الأمير في سجنه بسرايا أمبواز أثنى عليه، وأعلن عن إطلاق سراحه مشترطا عليه ألا يعود إلى الجزائر.

وفي 3 كانون الأول 1852م، تولى البرنس لويس نابليون إمبراطورية فرنسا باسم نابوليون الثالث، وكان الأمير من جملة منتخبيه فزاره في قصر سان كلود (saint cloud) وهناك، فبالغ الإمبراطور في إكرامه وأهداه سيفاً مرصعاً، قائلاً له: "وأعلم أنني أقدم لك هذا السيف، وأنا على يقين، بأنك لا تجرده على فرنسا" فأجابه الأمير: "أنني الآن ممن يستعمل القلم، ولا ممن يستعمل السيف"

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

وفي 13 كانون الأول غادر الأمير وعائلته فرنسا على ظهر السفينة لابرادور (labrador) قاصدا الشرق.

جدول رقم 1: سلاطين بني عثمان الذي عاصروا الأمير عبد القادر الجزائري:¹

29- مصطفى الرابع 1807 - 1808م
30- محمود الثاني 1808 - 1839م
31- عبد المجيد الأول 1839-1861م
32- عبد العزيز الأول 1861-1876م
33- مراد الخامس 1876-1879 م
34- عبد المجيد الثاني 1876 - 1909م

وتوجه الأمير إلى بروسة (brousse) فدخلها يوم الاثنين 18 كانون الثاني 1853م، فلتقاه واليها خليل باشا، ورحب به أجمل ترحيب.

وكان الأمير يمضي الأيام في تربية أبنائه، وفي القراءة في الجامع القريب من داره، المعروف "بجامع العرب" فقرأ "ألفية ابن مالك بشرح المكودي" والإيساغوجي "للفناري" و"الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز"، ومما ألفه في خلال إقامته ببروسة، رسالته المعروفة باسم: "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل

ومع استقراره في دمشق، تبدأ مرحلة جديدة مهمة من مراحل حياة الأمير عبد القادر الدينية، والعلمية، والفكرية.

لقد قضى الأمير عبد القادر في دمشق سبعة وعشرين عاما (1856-1883م) في القراءة، وحلقات العلم، والتأليف، والتأمل الصوفي، والرحلات.

ولكن أبلغ ما شغله خلال إقامته في دمشق تحقيق الكتب العلمية والأدبية، في سنة 1871م أرسل الأمير نسخة من "الفتوحات المكية" مع عالمين جليلين إلى قونية، لمقابلتها

1- فؤاد صالح السيد، مرجع سابق، ص: 64-65

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

وتصحيحها طبقاً للنسخة الأصلية الموجودة هناك بخط مؤلفها الشيخ "محي الدين بن عربي" وبعد تصحيحها بكل إتقان قرأها على بعض الخاصة من العلماء في منزله.¹ وقد غدا بيت الأمير مأوى لعباد الرحمن الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ولا يشغلهم شيء عن العلم، وذكر الله، ومن بين الوفود التي كانت ترد إلى منزله ثلاثة علماء أفاضل هم: الشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ محمد الهاني والشيخ الطنطاوي، لم ينقطعوا عنه يوماً، وقد ترجوه أن يدونوا ما يتكلم به في مجالسه فكان ذلك نواة الكتاب الصوفي الشهير الذي عرف فيما بعد "باسم المواقف".

من أبرز مواقف الأمير الإنسانية، موقفه الإنساني من فتنة عام 1860م في دمشق، فانطلقت شرارة الفتنة بدمشق يوم الاثنين 9 تموز 1860م، وبقيت سبعة أيام متوالية ولم يفتر فيها الأمير لحظة عن نصرة المظلومين وإنقاذهم من القتل، وتطبيب الجرحى، وتعزية الثكالى واليتامى، وكان يقضي أكثر الليالي ساهر وبندقية في يده حرصاً على من في حماه، فإذا غلب عليه النعاس أسند رأسه قليلاً.

وبلغ عدد الذين أنقذهم الأمير من الموت والعذاب ممن التجأوا إلى داره وقلعة المدينة نحو خمسة عشر ألف شخص، ولهذا فإن كافة نصارى دمشق مدينون لهذا الأمير الذي قام بعمل إنساني نبيل.

غادر الأمير دمشق في 23 كانون الثاني 1862م، متوجهاً إلى الحجاز سالكا طريق مصر لأداء فريضة الحج.

وخلال الإثني عشر شهراً من كانون الأول 1862م إلى كانون الأول 1863م التي قضاهما في مكة، لم يغادر الأمير حجرته إلا للذهاب إلى الجامع الكبير، فقد خصص كل وقته للدراسات الدينية والتعب والصلاة، فكان لا ينام في اليوم إلا أربع ساعات، ولا يأكل إلى مرة واحدة.

1 - تشرشل شارل هنري، مرجع سابق، ص: 145

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

وأخذ الأمير الطريقة الشاذلية، عن الشيخ محمد الشاذلي، المجاور في مكة، واختاره أستاذا صوفيا له، وحصل له في مكة فتح عظيم أشار إليه في قصيدته الرائية، التي مدح فيها أستاذه، ووصف فيها بداية الرحلة الصوفية ونهايتها.

ثم انتقل الأمير إلى المدينة المنورة حيث مكث أربعة أشهر من 6 كانون الثاني 1864 إلى 4 أيار 1864م، متابعا علمه الذي كان بدأه وهو في خلوته بمكة منقطعا للعبادة فقويت معارفه وإرادته الإلهية وانكشفت له الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية وكان - إلى جانب ذلك - يكثر من زيارة قبور الشهداء، والصلاة في مسجد قباء"

وبعد أن قضى في مكة والمدينة مدة سنة ونصف من 13 كانون الأول 1862 إلى 24 حزيران 1864م عاد إلى دمشق فاستأنف حياة الدرس والمطالعة والعبادة. وادعى جورجى زيدان أنه أثناء عودته من الحجاز (بعد أدائه فريضة الحج انتظم في سلك الجمعية الماسونية في 18 حزيران من تلك السنة)

وعللوا دخول الأمير في هذه الجمعية بأنه كان يرى فيها مؤسسة ذات روح دينية عالية، ويبدو أنهم اعتمدوا في ذلك على نزعتهم الدينية التي اشتهر بها.¹

ولم يكتف بعض المؤرخين بكل هذا بل بالغوا في ذلك مبالغة شديدة، فقد ادعى أحدهم أن الأمير هو أول ماسوني مؤسس، جاهر عام 1864م بماسونيته في سوريا. ولكن لمكلف أحد المؤرخين - الذين أدعو انتساب الأمير لهذه الجمعية - نفسه عناء البحث والتمحيص، فقد ذكروا ما ذكروه نقلا واقتباسا، لا تحقيقا وبحثا، ودون أن يقدموا مستندات، أو حقائق علمية أصابت صحة ما جاؤوا به.

أولاً: الفصل الرابع والعشرين، وهو الفصل الأخير من تاريخ تشرشل لم يدونه تشرشل من إملاء الأمير الشخصي مباشرة، كان الأمر بالنسبة إلى بقية فصول الكتاب، وهذا ما اعترف به صاحب الكتاب صراحة في مقدمة كتابه حين قال تشرشل أنه غادر دمشق في ربيع 1860م أي قبل حدوث الفتنة بعدة أشهر، وقبل انتظام الأمير في سلك الجمعية

1 - فؤاد صالح، مرجع سابق، ص: 86.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

الماسونية بأربع سنين، وأن معلومات الفترة الزمنية التي تمتد بين 1860-1864م، قد أخذها عن الشهود العيان، مما يقلل من أهمية الفصل الأخير، وخاصة عند الحديث عن انتساب الأمير للجمعية الماسونية.

ثانياً: إن كتاب "تحفة الزائر" وهو من أوفى المصادر التاريخية التي أرخت لحياة الأمير من إعلان ثورته 1830م، إلى تاريخ وفاته في دمشق عام 1883م يم يتطرق فيه مؤلفه إلى هذا الموضوع إطلاقاً، فقد أهمل المؤلف هذه الناحية أو ربما أغفلها عمداً، ولكن ما هي مصلحته في أخفاء أمر قد يكون والده قام به - كما يدعي بعض المؤرخين - جهاراً أو يستحيل أن يخفى عليه؟

وبقيت هذه القضية تتأرجح بين الإثبات والنفي، إلى أن كتب الأمير محمد سعيد، حفيد الأمير عبد القادر، مقالا بعنوان: "الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية" وفيه تبرئة الأمير مما نسب إليه من دخوله في هذه الجمعية المجهولة الحقيقة والشروط.

قال صاحب المقال: بينما كان الأمير عبد القادر عائد لسورية عن طريق الإسكندرية اغتتمت الجمعية الماسونية فرصة وجوده في ذلك القطر فأوفدت إليه هيئة من أعضائها لتعرض عليه المبادئ الماسونية، وعندما ذكر الوفد المشار إليه فضائل الماسون وخدمتها في الإنسانية شكرها الأمير على عملها الذي ادعته، فاتخذ بعض المنتمين للجمعية ذلك ذريعة حسنة لدخول الأمير في جمعيتهم.

هل يعني ذلك أن هذا الاجتماع، وتلك الدعوى يثبتان ويحققان دخول الأمير في الجمعية الماسونية؟ الواقع أن هذه حجة ضعيفة تحتاج إلى أدلة مؤيدة ويحاول صاحب المقال إن يدحض هذه الدعوى لسببين:¹

- أولهما: من المعلوم أن لجمعية الماسون نظاماً معيناً كما هي الحال في باقي الجمعيات، ومن جملة مواد نظام جمعية الماسون أنه لا بد لكل شخص يريد الدخول في هذه الجمعية

1 - اباطة نزار، مرجع سابق ص155.

الفصل الأول:العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

من أن يطلب الانخراط بها بموجب استدعاء، فإذا تم له ذلك واستحسنّت الجمعية إدخاله كلفته بوضع إمضائه في سجل أعمالها.

وعليه أن يكتب بإرادته واختياره... وان وجود مثل هذه الوثائق المادية لأعظم دليل ولأقوى برهان بيد كل من يريد أن يثبت انخراطه، وعلى من يدعي انتظام الأمير بها، أن يبرز الوثائق الراهنة مطبوعة نسخها على الحجر، وما من أحد يجهل خط الأمير وإمضاءه.

- ثانيهما: اشتهر الأمير عبد القادر بالتقوى وصلابة الدين، لا يخالف الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية فكيف يعقل أن يدخل في جمعية سرية لا يعلم حقيقتها إلا من انخرط بين جماعتها، فالشرع لا يسمح للمسلم بأن يدخل بها قبل معرفة حقائقها.

وينهي صاحب المقال مقاله بتحذير المتشدين الذي يتشدقون بانتظام الأمير بسلك الجمعية الماسونية فيطلب منه أن يأتوا ببرهان من البراهين.

كان للأمير عبد القادر في تلك الحقبة من تاريخ البلاد العربية ومن تاريخ سورية ولبنان بالذات، صفحة جديرة بأن تعلم وأن تدون، وهي موقفة من حركة 1877م الاستقلالية والتي سنكتفي بعرض بعض خطواتها الأساسية.

أدر كنا سابقا أن الأمير قد أصبح ي بداية الستينات - بعد فتنة 1860م في دمشق - محط أنظار العالم، وأمل دعاة الاستقلال العربي، فعندما دارت الدائرة على الدولة العثمانية، وانتصر الروس عليها، وكادت القسطنطينية تقع في أيديهم، نهض نخبة من زعماء البلاد الشامية، وبحثوا في مصير سورية، فعقدوا مؤتمر دمشق السري للنظر في استقلال سوريا، وفصلها عن جسم الدولة العثمانية.

وقد أقر المؤتمر اختيار الأمير عبد القادر أميرا على سوريا، لأن المؤتمرين وجدوا في الأمير أملهم الوحيد:

فهو الشخصية التي يستطيع أن تقنع الأتراك بحق العرب في الاستقلال.

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

- وهو الذي يمكن أن تتفق عليه كلمة الدول الأوروبية ذات المصالح المتصارعة في المنطقة، بعد موقفه الإنساني من فتنة 1860م.

- وهو الذي سق له أن أنشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر).

- وهو بالإضافة إلى ذلك كله المجاهد ذو النسب الشريف، والعالم ذو المقام الرفيع، والمحايد الذي يمكن انتخابه وتتضوي تحت لوائه مختلف الطوائف والملل في المنطقة.

وكان رأي الأمير عندما علم بالأمر، أن يظل الارتباط الروحي بين البلاد الشامية والخلافة العثمانية قائمة، وأن يبقى الخليفة العثماني خليفة في البلاد الشامية، وأن تتم البيعة للأمير من أهل البلاد جميعاً، فوافقه على ذلك أكثر المجتمعيين.

وجاء مؤتمر برلين (berlin) سنة 1878م، وتولى عبد الحميد الثاني سنة 1876م السلطة، فتأجل حل المسألة الشرقية، وتقدمت السن بالأمير فطويت صفحة ذلك المؤتمر وتجمد المشروع مؤقتاً.

وفي سنة 1879م بعد سنتين من قيام الحركة الاستقلالية ومبايعة الأمير عبد القادر أشاع الرجفون في الأوساط المحلية والعالمية خبر وفاة الأمير، ووردت رسائل الرثاء والتعزية على أهل الأمير، ولما الأمير بالخبر واطلع على ما ذكره أهل الجرائد وغيرهم قال:¹

"إن الموت لأبد منه، عند نهاية الأجل، والحمد لله الذي أراني وأسمعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي، وهذا نادر الوقوع، وغريب الاتفاق"

كان الأمير خلال مرضه الأخير مشتغلاً بالمراقبة والذكر، حتى لأنه مع كثرة ما يقاسيه من الآلام، ويعانيه من الأوجاع لم يظهر ضجراً، ولا تأوه قط ولا ترك الصلاة في وقت من الأوقات، وكان قليل الكلام إلا في ما يهص مرضه، فقد أصيب بمرض الكلى والمثانة، واستمر تردد الأطباء عليه طيلة خمسة وعشرين يوماً إلى أن توفي في الساعة

1 - شارل هنري تشرشل، مرجع سابق، ص: 181.

الفصل الأول:.....العلاقات والأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر

السابعة من ليلة السبت، التاسع عشر من رجب سنة 1300 هـ، الرابع والعشرين من أيار سنة 1883م، وذلك ف قصره في قرية دمر بضاحية دمشق عن ستة وسبعين عاما. ونقل صباح اليوم التالي في عربته من قصره إلى داره في دمشق، حيث تولى غسله وتكفينه الرحمان غليش، أحد علماء الأزهر، ثم حمل نعشه على أكتاف الرجال إلى الجامع الأموي الكبير حيث صلى عليه، وكانت الآراء مجتمعة على دفنه بجوار القطب الرباني الأكبر محي الدين ابن عربي، فاجتمع مجلس إدارة الولاية للمذاكرة في هذا الرأي، ووافق عليه بعد ترخيص من الباب العالي.

وسارت جنازته على طريق الصالحية حتى بلغت دار الحكومة حيث استقبل النعش هناك قناصل بالألبسة الرسمية مع فريق من العساكر السلطانية وجميع أمراء العسكرية الملكية.

الفصل الثاني

الفكر السياسي للأمير عبد القادر

- المبحث الأول: أسس ومنطلقات الفكر السياسي للأمير عبد القادر.
- المبحث الثاني: مفاهيم أساسية للفكر السياسي للأمير عبد القادر.
- المبحث الثالث: تطبيقات الفكر السياسي للأمير عبد القادر.

تمهيد:

تناول العسكريون الفرنسيون جوانب متعددة من حياة الأمير عبد القادر اجتماعية وسياسية وعسكرية ودبلوماسية وفكرية وإنسانية وجوانب أخرى متفرقة، ولكن ركزوا في كتاباتهم خاصة على الجوانب السياسية والعسكرية التي يشوبها نوع من التشويه للأمير، فقد يكون القصد من ذلك إدخال الشك في نفوس الجزائريين لإيهامهم بصدقة الأمير للفرنسيين بعد حربه لهم.

أما الجانب السياسي لديه فنجد تسلم السلطة، والنداء للهجاء والحكمة السياسية في التعامل مع القادة الفرنسيين وإقامة الدولة الجزائرية على أسس وتنظيمات سياسية وعسكرية... الخ.

وبهذا فإن كتابات العسكريين حول الجانب القتالي بين القادة الفرنسيين والأمير عبد القادر أخذت حيزا كبيرا باعتبار أنها تعتبر مرحلة هامة بالنسبة للكفاح الطويل للأمير عبد القادر ضد فرنسا، وقد وفرت جميع الإمكانيات البشرية والمادية للقضاء على الأمير والسيطرة على كامل التراب الجزائري، وفي المقابل أن الأمير جهز جميع إمكانياته البشرية والمادية لمقاومة العدوان الفرنسي وطرده من البلاد، واستطاع في المرحلة الأولى من الكفاح أن يحرز عدة انتصارات مما حقق النطاح الأولى والثانية.....، وخلال هذه المعارك القصيرة والمناسبات المليئة بالمخاطر برهن عبد القادر عن شجاعته ومقدرته للقيادة، وكسب ذلك إعجاب الجنود به و رأوا فيه رجل المستقبل لقيادتهم وتنظيم قواتهم، وبعد اختيار عبد القادر حاكما لهم 1837 والنداء الذي وجهه لشعبه، واجه صعوبات ومشاكل من التوسع الفرنسي في المنطقة من جهة والقبائل الراضية للواجب الوطني من جهة أخرى، ودخل الأمير في حرب طويلة مع الفرنسيين وقادته في ذلك حنكته العسكرية والسياسية وجهاده أمثال ديميشال - كلوزال وغيرهم نحلها معاهدات هامة بالنسبة للأمير عبد القادر.

المبحث الأول: أسس ومنطلقات الفكر السياسي للأمير عبد القادر.

1- الأسس الدينية:

شب الأمير عبد القادر في جو تربوي ديني، وفي عائلة علم وورع وتقوى، فهو ابن الزوايا والطرق، فقد نشأ نشأته الأولى في مدرسة الزاوية التي كان والده أنشأها وانتمائه إلى الزاوية القادرية أعطته تعليماً متنوعاً، وحبا للإطلاع والاستكشاف، حيث تلقى مبادئ العلوم الدينية والفقهية فيها، كان طموحه الأكبر في شبابه أن يصبح مرابطاً، مثل والده الذي كان يحبه، ويتحمس له تحمسا بلغ حد العبادة.¹

وغني عن البيان القول أن حياة الفتوة والمرابطة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحب الصوفيين في مجاهداتهم الصوفية، وقد جاهد الأمير في هذه المرحلة الثانية من حياته في سبيل الوصول إلى مرتبة الفتوة والمرابطة، وما ذلك إلا نتيجة التربية الدينية والصوفية التي ربي عليها، وفي اتخاذها لوالده المرابط القدوة والمثال.²

إن إيمان الأمير بالقضاء والقدر شديد جداً، ولعله يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم لأن انتماءه يعود إلى البيت النبوي وهو النسب العفوي الطبيعي، الذي لا إرادة للأمير به، وقد تمسك مؤرخوه بهذا النسب الجسدي، مما لا شك فيه أن الأمير قد افتخر بهذا النسب النبوي الشريف، وظهر فخره هذا في العديد من القصائد الفخرية والحماسية، إن إيمان الأمير بالقضاء والقدر يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الإسلام فقال: "أن تؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها، حلوها ومرها".

ونلمس إيمانه هذا في كتاب العهد الثاني الذي أعطاه الأمير لويس نابليون، وتعهد فيه بعدم العودة إلى أرض الجزائر قائلاً: "عندما أمرني الله بالنهوض نهضت... ولكن عندما أمرني بالوقوف توقفت..." "أن نهوضه وتوقفه وتخليه، رهن المشيئة الإلهية ونفهم هنا بأن

1- بودواية بلحيا، التصوف في بلاد المغرب العربي (الجزائر: دار القدس للنشر والتوزيع، ط1، 2009)، ص: 104.

2- فركوس صالح، مرجع سابق، ص: 186.

الفصل الثاني:.....الفكر السياسي للأمير عبد القادر

الذي يؤمن به الأمير إيماناً كلياً والذي حققه في خلوته الصوفية، هو إيمانه بأن القضاء والقدر قد كتب له ليكون صوفياً بالميلاد والتربية والميل.¹

لأن الأمير يرفض الإيمان العقلي الوارد عن طريق الجدال والمناظرة والمنطق، ويرفض الإيمان التقليدي الوارد عن طريق التلقين والتعليم والاكْتساب، وإيمان الأمير هو الإيمان القائم على التجربة الروحية الذوقية الشخصية، وتصوف الأمير مر بعدة مراحل بدايتها - بداية التوبة والورع- ونقطة النهاية نهاية النفس الأمانة بالسوء، حيث الشاهد واليقين، وتكمن المعرفة الدينية للأمير في عدة مراحل:

الأولى:مرحلة التلقين والتعليم والمطالعة، والثانية مرحلة الفتوة والمرابطة ، الثالثة: مرحلة النضج والتعبير، والرابعة مرحلة التكامل والتفكير.²

وبهذا تبدو أن أهم فترة زمنية في هذه المرحلة من 1825 و1828 وهي فترة الرحلة المشرقية التي سافر فيها مع والده لأداء فريضة الحج، فأتاحت له فرصة الإطلاع على الكتب، وعلى طرق التصوف منها الطريقة النقشيدية، هدفه منها ليعلم منه علوماً بشيء في التوحيد والتصوف، الطريقة القادرية: غايته إتباع السنة، وحب الخير والبعد عن التعصب الديني والسياسي وقد تصيرت هذه المراحل أولاً المعرفة الإلهية وثانياً فكانت الفتوة والمرابطة أساس تصوفه العلمي، وثالثاً نقطة الاتصال بين المرحلتين السابقتين، والمرحلة الرابعة والأخيرة، وتعد نضجه الصوفي والفكري عبر تغيراته الصوفية ورحلته.

1- القاضي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الثاني، السلطة القضائية،(بيروت : دار النفائس، 31، 33، 1978)، ص: 83.

2- كبير سليمة، محمد هناء، الأمير عبد القادر ناصر الإسلام والوطن، (الجزائر: المكتبة الحمراء للطباعة والتوزيع، د.ط.1984)، ص: 147.

وبعد ذلك أضاف عبد القادر إلى قائمة شيوخه علماء جدد أمثال الشيخ المحدث عبد القادر الرحمان الكزيزي، فقد سمع عنه هو ووالده، البخاري بمسجد بني أمية، الشيخ خالد النقشيدى البغدادي الشهرزوري الصوفي الأديب¹.

2- الأسس الاجتماعية :

نشأ الأمير عبد القادر في عائلة علم وورع وتقوى وانتمائه إلى الزاوية القادرية أعطته تعليماً متنوعاً، وحبا للإطلاع والاستكشاف وكان ابناً لوالد محارب جعلته ذو عبقرية وخبرة حربية وعسكرية، تميز الأمير عبد القادر بالعديد من المميزات والقيم التي جعلته محل الدراسات واجتمعت كامل مقومات الرجل الحاكم من دين وعلم وتقوى وقيم إنسانية، كما عمل الأمير على إبراز قيمة إنسانية بغض النظر عن عقيدته ودينه وموطنه، فمن خلال سيرته الذاتية نجد قيم إنسانية رفيعة زيادة على أنه ابن الريف وأهل الريف مشهورين بحب الخير، فنجد الأمير في أسرته كان بارزاً بأمه ويتخذها مثله الأعلى ويستشيرها في كل صغيرة وكبيرة، وكذلك مع إخوته ويحافظ على صلة الرحم، فكان يرسل من منهم ذهب إلى المغرب الأقصى بعد 1842، نجد أيضاً إنسانيته مع زوجته، أيضاً عندما بويع بالإمارة، لما صار الأمير حاكماً مباحياً كان ملزماً بحدود الشرع الإسلامي، نجده تعامل مع التجار اليهود ومع تجار الأعيان الإباضيين بروح إنسانية، كما تعامل مع القبائل المغربية، نجد أكثر من ذلك أنه اعتمد على شرائح أخرى من المجتمع الجزائري كالإباضيين والميزابيين في التجارة والصناعة، وهذا يدل على إنسانيته التي دعت إلى الحوار والتعايش السلمي، أما سلوكياته كإنسان مسلم قال سوشيه عنه "... وجدت الأمير وكان يجلس على الأرض في حديقة الليمون ملابسه بسيطة كأبي جزائري من حايك عادي إلى برنوس أبيض ولم يكن يحمل سلاحاً في تلك المقابلة" وسلوكيات

1- الحسني الجزائري، الأميرة بديعة، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، (الجزائر: دار المعرفة للنشر، د.ط، 2008)، ص: 64.

الأمير كانت تتسم بقوة البدن والفروسية حتى كان يشار إليه بالبنان بين الفرسان لمهارته في ركوب الخيل.¹

3- الأسس النفسية:

ومن الناحية النفسية ارتاح الأمير لبعض الفنون الشعرية أكثر من غيرها وذلك يعود للجو النفسي الذي اجتازه في كل مرحلة من مراحل حياته بفن معين من الفنون الشعرية، فشعر الفخر والحماسة مثلاً أوثق صلة بحياة الأمير من شعر الوصف، وشعره في الفخر والحماسة كان نتيجة معاناته الحروب وخبرته وتجربته، فقد كان الأمير فارساً حقا لم يقنع بالجانب الحسي من بطولته فطلب لها جماله في الشعر وحلالها بالقصيد ليربط عروبه بأجداده الأوائل بأعز رباط وأقدس تراث سلاحاً وأدباً.² فحاول أن يكسب الشعر المكانة اللائقة المحببة إلى قلبه، الشيء الذي يشفع للأمير في أن يجعل من نفسه شاعراً.

الحديث عن الأمير عبد القادر الأديب الشاعر، ليس في الحقيقة بالأمر السهل لأن صعوبته تأتي من حيث يظن أنه سهل، كما أن تصنيف الأمير بين أعيان البيان ليس بالأمر اليسير خاصة، إذا احتكنا في هذا إلى المقاييس الفنية المجردة للشعر العربي واستبعدنا كل ما من شأنه التأثير علينا، ومن هنا يصعب على النظرة النقدية إلى الأمير في فترة مجدية عزلاء من أي مضمون بطولي، راسخة في أغلال التخلف الفكري.³

1- محمد بن عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص: 203.

2- عشيراتي سليمان، الأمير عبد القادر مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري في محطة المبعاد [بيروت: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، 2004)، ص: 84.

3- السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري (الثقافة وأثرها في أدبه)، دب، د.ط، ص: 140.

المبحث الثاني: مفاهيم أساسية للفكر السياسي للأمير عبد القادر.

1- مفهوم الدولة:

1-1-أ- لغة: يعود الأصل للغة اللاتينية المشتقة من اللفظة status بمعنى الحالة أو طرية العيش¹، وأول استخدام للمصطلح هو "ميكافيلي" في كتابه الأمير، حيث عرف الدولة على أنها كل هيئة يكون لها أو كان لها سلطة على الشعوب، وهي إما جمهوريات أو إمارات.²

- ابن خلدون يعرفها: على أنها الامتداد المكاني و الزماني لحكم عصبية ما، فامتداد الدولة في المكان أي مدى نفوذها واتساع رقعتها، وما يتناول استمرارها في الزمان أي مختلف المراحل التي يختارها حكم العصبية يوم استلامها السلطة إلى يوم خروجها.³

1- ب - اصطلاحا:

عبارة عن مجموعة دائمة ومستقلة من الأحزاب يملكون إقليما معيناً، وترابطهم رابطة سياسية مصدرها الاشتراك في الخضوع إلى السلطة المركزية، أي بينهم فئة حاكمة وأخرى محكومة، وبحق كل شخص معنوي دون غيرها استخدام القهر لتحقيق أعراضها.

- الدولة نقيض الفوضى بما أنها جهاز تنظيمي لتدبير شؤون مواطنيها وسيرها وهو نقيض للدولة التسلطية التي سينفرد من خلالها الحاكم بالتقرير والتنفيذ وتتمركز كل السلطات بيده دون سبب ولا رقيب.⁴

1- رياض عزيز الهادي، مفهوم الدولة ونشوتها عند ابن خلدون، (د.س، مجلة العوم السياسية)، ص: 78.

2- أحمد رشيد هطال وآخرون، دراسات موجزة عن مفهوم الدولة وأنواعها وأنواع السلطة العامة، (مطبعة زان هوك)، 2006، ص:7.

3- محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، (لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1994) ص: 211.

4- أحمد بوعشرين الأنصاري، مفهوم الدولة المدنية في الفكر العربي الإسلامي، (قطر، سلسلة دراسات المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، د.ط.2016)، ص:21.

فالدولة إذن من الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة مجموعة من الأفراد يؤلفون أمة nation، والفرق بين الدولة والأمة، فالدولة هي الأمة المنظمة على حين ن الأمة جماعة من الناس تجمعهم صفات واحدة ومصالح وأمال وأهداف مشتركة.

فالدولة هي مجموعة المصالح و الإدراكات العامة، وهي بهذا المعنى مقابل المديرية والولاية، والعمالة والمحافظة وغيرها من الإدارات الإقليمية والملحية، ويكون الدولة أملاك عامة وأملاك خاصة، بخلاف أملاك الأفراد، وسيطرة الدولة نظام سياسي يجعل جميع الاجتماعية من إنتاج وخدمات عامة في يد الدولة.¹

1-ج- مفهوم الدولة عند الأمير:

هو الكيان السياسي القوي الذي يقوم على مجموعة من الجماهير ليوحد تلك القبائل ففي وحدتها إلى قوة الإمارة ومناعتها، وبالتالي أساس الدولة إخلاص الحكم وثقة المحكومين.

والدولة صفة شرعية تجلب إليها الدعم والتأييد لتجنب أخطاء الحكم التركي الذي جعل ممثليه في الجزائر عرضة للخطر لغايته لفرض النظام والاستقرار وتحقيق الصلة والروابط بين الجماهير.²

- قامت دولة الأمير على شرعية شعبية كان أساسها رضا الناس والتفاهم حول الأمير وتأيد حاله، فدولة الأمير مختارة تستند إلى مبادئ العدل والتكافل.

لقد أدرك الأمير منذ الوهلة الأولى التي تصدى فيها ليتحمل المسؤولية قيمة ودور العلم والثقافة في بناء الإنسان، ورفي الدولة وقوتها وقيمتها، وكان حجر الأساس في هذا المجال هو الاهتمام بالكتب والمراجع مهما كانت قيمتها العلمية والأدبية ولذلك كان الأمير يبذل كل جهد واستحضار الكتب وجلبها من الآفاق وسواء كان ذلك عنده بالشراء أو

1- الحسيني الجزائري، الأميرة بديعة، ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر لنتشارل هنري تشرشل)

دمشق، دار الفكر. (2001)، ص: 22.

2- عبد الرزاق بن السبع، مرجع سابق، ص: 29-30.

النسخ أو النقل، ونجحت سياسة الأمير في هذا الميدان نجاحا عظيما، فجمعت لإمارته الكتب المتنوعة لشتى العلوم أسس لها مكتبة ضخمة، سيرها لطلاب العلوم والزوايا والمدارس والمساجد، وفرق الجيش " الميرة والذخيرة" للنظاميين وأودع بقية الكتب المخطوطة في حصن "تأقدمات" فأعز نفائس الدولة ووثائقها وأسرارها.

وحرصا من الأمير على هذه الكتب والمؤلفات فقد حملهم معه لما سقطت تأقدمات بيد العدو إلى عاصمته الجديدة "الزمالة" التي ينتقل بساكنها من مكان لآخر حتى فقد الأمير عاصمته الزمالة واستولى الفرنسيون عليها، أنلفوا كل ما بها من الكتب والنفائس في شتى العلوم.¹

فكان وقع هذا الأمر على الأمير شديدا وعظيما في ذلك يذكر الجنرال "بول آزان" أن الأمير كان يومئذ يعتريه الألم والاشمئزاز، وهو يتبع خطوات الفرنسيين، -نحو المدينة- يجمع الأوراق الممزقة المتناثرة من كتبه الثمينة على طول الطريق، تلك الكتب التي كانت قد كلفته كثيرات من الوقت والجهد في جمعها، ويفقد هذه المكتبة، فقدت ثمرة تعب أجيال في التمهيد والجمع والنسخ.²

واختار الأمير لمن يتولى مهمة التربية والتعليم رجالا أكفاء، مشهورين بتبصرهم في مختلف العلوم لينشر روايته، واهتم بأوضاع صناعاتهم ماديا ومعنويا فعين لهم مرتبات وأجورا حسب مراتبهم، وشجعهم على التأليف والإبداع ويعينهم في سائر مدن وقرى الإمارة الفتيحة، يعلمون الناس ويحبون إليهم العلم والثقافة وتشجيعا في طلب العلم احتراما له، فإن الأمير عبد القادر أعطى أوامر باحترام المثقفين أينما وجدوا، وأنى كانوا كما أمر بإعفائهم حتى من الضرائب والمطالب على اختلاف أنواعها وأصنافها.

1- عبد الرزاق فركوس، المرجع السابق، ص: 27-28.

2- رياض عبد العزيز الهادي، المرجع السابق، ص: 80.

بل بلغ من احترام الأمير للعلم وأهله أن ألقى طلبه العلم من الانخراط في سلك الجندية يتفرغوا لطلب العلم، وكثيرا ما روت كتب التاريخ التي تناولت سيرته من أنه كان يباشر بنفسه إلقاء الدروس المختلفة في شتى العلوم وهو حالة حرب ونزال، وبقيت هذه الصفة ملازمة له حتى آخر أيامه.¹

وهكذا تجلت مجهودات القائد الشاب في هذا المجال لأن الأمير كان يعلم أن نشر العلم والثقافة في إمارته لم يكن إجراء إداريا فحسب وإنما هو أداء فعال لليقين في صحة ما يعتقد ويعلم، وتعلقه بالسلح، فحروب الأمير عبد القادر في الجزائر ضد الدول حرب استمرت ثلاثة قرون بالمغرب، وقرنين بالمشرق، لابد أن يكون في بعض دوافعها ونتائجها فضلا عن وسائلها ومظاهرها حربا ثقافية.²

2- حدود الدولة عند الأمير:

عرفت حدود الدولة عند الأمير بعد استقرارها فتارة تتسع وتارة تضيق ويعود ذلك إلى مؤثرات داخلية وخارجية، إذ حددت معاهدة ديميشال* المنعقدة في 26 فيفري 1834 حدود الدولة فاحتوت على مجمل الناحية الوهرانية وجهات التيطري والمدية وما جاورها، فاستغل الأمير الهدنة فتوغل في إقليم التيطري واستولى على مليانة سنة 1835 والمدية حتى بسكرة والواحات الجنوبية وجبال جرجرة والزيبان.³

1- سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر، (الكويت: مؤسسة جائزة العزيز بن مسعود البابطين للإبداع الشعري.2000)، ص: 104.

2- مياصي إبراهيم، بناء دولة الأمير عبد القادر(في جريدة المساء، 18 سبتمبر 1998)، ص: 23.

* - الجنرال دي ميشال تم عقدها سنة 18324 ومثلت هذه المعاهدة أول انتصار عسكري وسياسي للأمير عبد القادر.

3- عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، (الجزائر: دار دزاير أنفو للنشر، ط1.2013)، ص: 91.

بعد اتفاقية معاهدة تافنا** الموقعة في 30 ماي 1836، تحصل الأمير على اعتراف فرنسا بسلطته على الناحية الوهرانية وإقليم التيطري والنواحي الداخلية إلى جهات الحضنة والزيبان، أما فرنسا فاستولت على مراكز الجزائر والبليدة والقليلة ووجهاتها من وادي المالح غربا إلى مستنقعات المقطع ومصب الشلف شرقا.¹

وفي سنة 1837-1839م كانت حدود الدولة عند الأمير تشمل أغلب مناطق العرب الجزائري والوسط الجزائري باستثناء الجزائر العاصمة، بل والشرق الجزائري حتى الجنوب القسنطيني بما في ذلك لأوراس والزيبان وامتداد جنوبا إلى نواحي وادي ميزاب ووادي سوف حتى الحدود الجنوبية للتوراق، وبعد سقوط بايلك الشرق سنة 1838 توسعت لتشمل مقاطعة الشرق التي مركزها برج حمزة.²

بصفة عامة امتداد حدود دولة الأمير مع العرب إلى الحدود مع بايلك الشرق وبالضبط من وجانة إلى وادي خضرة، ومن واحات الزيبان والبيض إلى جبال قصور عمور وجنوبا من ميناء شكون إلى سهول متيجة على طول السواحل البحرية شمال، وهي تتربع على مساحة واسعة تشكل أكبر من 70% من مساحة شمال الجزائر.³

3- التنظيم المحكم لدولة الأمير عبد القادر:

لقد اتخذ الأمير عبد القادر مجموعة من الخيام سماها الزمالة وجعلها عاصمة سياسية بعد سقوط تاقدمت 26 ماي 1841 تتحرك كلما دعت الضرورة أو داهمها الخطر، ومن هنا ذاع صيت الزمالة واكتسبت أهمية في التاريخ الجزائري الحديث،

** أبرمها الأمير مع الجنرال بيجو دامت سنتين 1837-1839 نسبة إلى نهر تافنا. ينحدر من تلمسان ويصب في البحر الأبيض المتوسط على شواطئ بني صاف.

1- مناصرية يوسف، مهمة البون روش في الجزائر والمغرب 1847-1832، (طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر. 1990)، ص: 72.

2- فتحي دردارة، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847، أدب 2001، ص: 66.

3- ناصر محمد السعيد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1962-1830- (الإرشاد للنشر والتوزيع. 2013)، ص: 27.

الفصل الثاني:.....الفكر السياسي للأمير عبد القادر

والزمالة كما يقول الأستاذ بلقبي تمثل في الحقيقة آخر حلقة في سلسلة الخطط العسكرية التي وضعها الأمير عبد القادر في مجال اختياره للمدن التي يتخذها مركزا لإدارته ومنطلقا لتوجهاته السياسية وأوامره العسكرية.¹

بعد سقوط الجزائر في يد الجيش الاستعماري الفرنسي 1830م تزعم الأمير عبد القادر المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي ولعوامل إستراتيجية أتخذ عام 1832م من مدينة معسكر عاصمة لإمارته ومقرا لقيادته العسكرية، وهذا بعد موسم البيعة التي تمت له مرتين ومن قلب هذه المدينة كما سبقت الإشارة إليه التحضير الجدي لإرساء قواعد أول دولة جزائرية حديثة فرضت على الأصدقاء والأعداء الإعتراف بها.² تعرضت هذه العاصمة للحرق في 19 ديسمبر 1839م على أثر معركة وادي المقطع.³

- راية الدولة:

بعد سقوط الجزائر واستسلام الداي حسين بتوقيع معاهدة استسلامه في 5 جويلية 1830م، انتهت بذلك الدولة الجزائرية العثمانية وانتهت معها رموزها ومنها العلم، فتزعم الأمير المقاومة وأراد إقامة الدولة الجديدة وفي مقدمتها العلم الذي يختلف عن علم الدايات على الشكل التالي:

أخفى اللون الأحمر كليا و عوض بالأخضر ورسمت على رايتهم يد مبسطة أحيطت في شكل نصف دائري بالعبارات التالية: نصر من الله وفتح قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين.⁴

1- أحمد بوزيان، تيارات من آل رستم إلى الأمير عبد القادر، (البليلة، دار المدار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1. 2013)، ص : 259-260.

2- عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، (الجزائر، دار الخلدونية للطباعة، ط2005)، ص: 57-58.

3- محمد لحسن زغيدي وآخرون، العلم الوطني ومسار الذكرى الخمسون للاستقلال، 1962، 2012، د.ط، دس.

4- بشير سعدوني، (الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء للنشر، 2011)، ص: 11.

أما توزيع الألوان على هذا العلم فقد كان على النحو التالي: أعلاه وأسفله أخضرين،
وأما وسطه فكان أبيضاً.

كان عبد الله بن يوسف من يتولى مهمة حملها وهي تتقدم موكب الأمير في رحلاته
وجهاده.

لم يكن ظهور العلم بمحض الصدفة في هذه الفترة بل كان يرمز إلى استقلال سياسي
عن الدولة العثمانية بعد انتهاء الحكم العثماني بالجزائر، ودلالة على ميلاد دولة جزائرية
غير تابعة سياسياً للدولة العثمانية، واعتبر الأمير عبد القادر أن الحكم التركي بالجزائر قد
انتهى إلى الأبد، وأن ارتباط البلاد الجزائرية بالدولة العثمانية لم يعد أمراً وارداً، واقتنع
عند ذلك بضرورة تغيير الأنظمة والقوانين التي كان العمل جارياً بها، فأبطل في دولته
امتيازات الأتراك كانت لقبائل المخزن وجماعة الكراغلة تحضي به من معاملة مفضلة
على حساب العامة.¹

2- نظام الحكم وشرعية البيعة للأمير عبد القادر:

بعد سقوط وهران ونهاية الحكم بها برز قائداً اسمه عبد القادر حارب الفرنسيين لمدة
17 سنة، وفي ظل هذه الأوضاع وقف العرب لمواجهة الوضع الجديد في غياب سلطة
بعد إبعاد الأتراك واشتعلت الحرب بين القبائل من جهة وبعض الأشخاص الذين اغتتموا
فرصة الفراغ للقيام بأعمال تخريبية مثل السرقة، قطع الطرق، الجرائم، كل هذا جعل
سكان تلمسان وبني عامر يقتنعون بأن إخراج البلاد من حالة الفوضى التي تعيشها لابد
من الالتفاف حول قائد يحظى باتفاق الجميع، وطلب سكان تلمسان من مولى عبد الرحمان
تعيين حاكم على بايلك وهران، وهو أحد أبناء أخيه علي، لكن قبائل بني هاشم العزابة

1- العسلي، بسام، الأمير عبد القادر الجزائري، (بيروت: دار النفاس، د.ط، 1986)، ص: 72.

طلبوا من محي الدين أن يحكم وأن يصبح سلطانا عليهم، إلا أنه رفض هذا التكليف بداعي كبر السن وعدم قدرته على هذه المهمة، وبقي محي الدين في الجيش لمساعدة قومه.¹ وتحجج محي الدين مرة أخرى بعدم تحمل المسؤولية في ظل هذه الأوضاع والفراغ القيادي، واقترح عليهم بأن يكون الذي يحكمهم شابا حيويًا وشجاعًا، وذكيًا وقادرًا على قيادة القبائل لحرب مقدسة، وقال لهم هذا القائد لست أنا، لكن قبائل بني هاشم و بني عامر طلبوا من محي الدين بعد رفضه القيادة تعيين ابنه، لكنه رفض ذلك على أساس أن عبد القادر مازال صغير وغير قادر على تحمل هذه المهمة الصعبة.

وتواصلت المناقشات من أجل إيجاد حل، فاجتمعوا في خيمة محي الدين وأثناء المناقشة والآراء المختلفة، جاء أحد المرابطين وهو سيدي عراش كانت له مكانة مثل محي الدين قال أنه رأى في حلمه عبد القادر جالسًا على كرسي الشرف حاكمًا للعدل وعلى الفور طالب محي الدين ابنه بقبول طلب بني هاشم وبني عامر، ثم لبوا الدعاء للسلطان عبد القادر بأن يوفقه الله في مهامه²، أما سياسة عبد القادر بعد البيعة فتتلخص فيما يلي: تثبيت الحكم لكن الأمير عبد القادر طبق سياسة تمثل في عقد معسكر، ودعوة القبائل للاعتراف به وإعلان الجهاد المقدس واستطاع أن يسيطر على وهران ومستغانم والمرسى الكبير فقط، أما القوى المحلية فقد سعت إلى تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي في حدود منطقتها الضيقة، واستعدت للتضحية للمحافظة على وجودها وزعماء هذه القوى في الشرق وفي الغرب وفي الشمال والجنوب وحتى الوسط، حيث جعل محي الدين مدينة معسكر كمؤسسة لجمهورية صغيرة اتخذها الأمير عاصمة له، واعترف سكانها به وأيدوه ورحبوا به وبايعوه، وكتب إلى زعماء الإنجاد سنة 1833 للتجمع أمام أسوار وهران والاستعداد للقتال والنداء للجهاد وأول عمل قام به عبد القادر بعد مجيئه إلى معسكر هو

1- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، قراءة في فرادة الرمز والريادة، (د.ب، دار العرب للنشر والتوزيع، ط3، 2009)، ص: 55-56.

2- عشراتي سليمان، المرجع نفسه، ص: 58-59.

الانتقال إلى المسجد وخاطب الجميع وناداهم إلى الجهاد وتطهير الأراضي الإسلامية من المسيحيين، كما دعا للوحدة والقوة لطردهم من مقاطعة وهران خاصة والجزائر عامة، وتواضع الأمير وحكمته في نهاية الخطبة قال بأنه يحكم بالحق والقيادة نحو الجهاد، وبأنه جاهز تحت قيادة قائد أجدر متى يقودنا إلى النصر، ومن هذه الخطبة كسب الأمير أصوات تدعوا لإعلان الحرب المقدسة والجهاد في سبيل الله، وهذا العمل يعتبر عملاً سياسياً هاماً بإعلانه للجهاد، وبالتالي أصبح القادة الآخرون في موقف صعب أمام الانضمام إلى صفوف الأمير عبد القادر ويكونوا تحت قيادته أما إذا رفضوا فإنهم سيفقدون محبة العرب لهم، وتمت مراسلة القادة للدعوة للانضمام إليه واختيار الحرب المقدسة، وهذا العمل من شأنه معرفة مدى قبول هذه الدعوة، ومن أجل معرفة خصومه من جهة والراضخين لمواصلته رفع الجهاد من جهة أخرى.¹

وأصدر أمراً لكافة القبائل العربية بعد الاتصال بالجيش الفرنسي والتعامل تجارياً مع وحداته، وإن ثبتت الخيانة، يتم إصدار حكم الإعدام، ثم وضع الأمير حلفاء له من القبائل المؤيدة له، منهم قدور بن القاضي الأكل على قبيلة بني هاشم الغرابية، وعلي بن يوسف على قبيلة بني هاشم الشراقة.²

2-1 - مفهوم البيعة لغة: هي الصفة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة وبإيعه عليه مبايعة، أي عاهده.

أما الفيومي فقال عن البيعة، وتطلق البيعة على المبايعة والطاعة ومنه إيمان البيعة.³

1- بناني محمد الصغيري وآخرون، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، (الجزائر، شركة دار الأمة، ط7، 2010)، ص: 81-82.

2 - بناني محمد الصغيري وآخرون، المرجع نفسه، ص: 84.

3- ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الأول، الحياة الدستورية، (ط1، دار النفائس، د، د.س)، ص: 246-247.

2-2- البيعة اصطلاحا:

في باب الساسة الشرعية والأحكام السلطانية بمعنى عقد النية على الوفاء والأداء للمبايع بصيغة عقدية مكتوبة أو منطوقة أو بقرينة مألوفة لدى أهل الزمان كالمصادقة أو الإيماء مفادها التعهد بالوفاء والتوثيق له، ومؤداها السمع والطاعة في المكره باعتباره وليا للأمر وخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سياسة وتدبير شؤون جماعة المسلمين.¹

- البيعة الأولى 1830-1832.

اجتمع أعيان المغرب الأوسط [الجزائر] وعقدوا مشاورات طويلة، فلجئوا إلى محي الدين عارضين عليه تولي الإمارة، فاعتذر إليهم متذرعاً بشيخوخته، وأشار عليهم بإيفاد وفد إلى سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الرحمان بن هشام للانضمام إليه ومبايعته فرضي السلطان ووافد ابن عمه عليان سليمان أمير على البلاد، فاتخذ تلمسان مقراً رسمياً له، وامتد نفوذه حتى مليانة شرقاً، ووزع العمال في الاتجاه، وجبي الأموال، وكانت الخطبة تعلن باسم سلطان المغرب في كل المساجد وكان الأمير يستقيم لولا أن فرنسا لم يرق لها مثل هذا الصنيع، فأوزعت إلى سفيرها الرسمي بطنجة أن ينذر السلطان المولى عبد الرحمان بعداوة فرنسا له، وإعلانها الحرب إذا لم يسحب ابن عمه، فطلب السلطان من ابن عمه الانسحاب من الجزائر في 1831، فانسحب بعد أن أمضى على توليه زمام الحكم ستة أشهر، وترك أحوال المغرب الأوسط الجزائري على ما كانت عليه من الفوضى والاضطراب.²

1- زعيم خشلاوي : إذ يبائعونك تحت الشجرة، أعمال الملتقى الدولي حول مبايعة الأمير عبد القادر على رأس الدولة الجزائرية، المنعقد بالنادي الوطني للجيش (الجزائر العاصمة يومي 2 و3 فيفري 2010موقع للنشر - الجزائر. 2011)، ص:47.

2- فوائد صالح السعيد، المرجع السابق، ص: 50.

ويؤس أهل الجزائر من نجدة الدولة العثمانية، وظهر لهم عجز جارههم سلطان المغرب بالأقصى، فاجتمعوا مرة ثانية وألحوا على محي الدين في قبول بيعتهم على الإمارة والجهاد، فرفض قبول منصب الإمارة، وقبل تولي أمر الجهاد.¹

وبدأت الحرب بين الجزائريين والفرنسيين فبدأ في هذا القتال من بسالة عبد القادر ومواهبه الحربية، وأصالة رأيه، وإخلاصه لقضية أمته وقوة إيمانه بصدق جهاده ما عقد به أمانى الناس.

كان لابد لأهل الجزائر من قائد أمين، وكان محي الدين ذلك القائد الذين اختاروه واجمعوا عليه وقصدوه في بلدية القيطنة عارضين عليه القيادة ولكنه أبى واعتذر تواضعا وتهيبا من حمل المسؤولية العظمى، وهو الذي قبل القيام بأمر الجهاد وترك مسؤولية الإمارة، وأصرروا عليه وهددوه بالقتال إن امتنع، فرضي على أن يتولى ابنه عبد القادر، فقبلوا لإمارته مسرورين، وكان الأمير عبد القادر في ذلك الوقت يحارب الفرنسيين في مكان يدعى بحصن فيليب فقصدوه ولم يتردد حين عرضوا عليه اقتراح أبيه قائلا لهم أنا لها....أنا لها.²

وعقدوا البيعة الأولى 1832 وذلك تحت شجرة الدردارة الموجودة بوادي فروحة من فريس وهي شجرة عظيمة كان أهالي فريس يجتمعون تحتها للشورى ولقبه "والده نصر الدين بعد أن بايعه" وقد خاطب محي الدين الجموع بقوله: "إليكم سلطانكم الذي أشارت إليه نبؤات الأولياء والمهامات الأنقياء، هذا هو ابن الزهراء فأطيعوه كما أطعتموني واجتنبوه جفاهه، نصر الله السلطان نصر عزيز مقتدر".

وقال عبد القادر: وأنا بدوري آخذ بقانون غير القرآن، لن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن، والقرآن وحده، فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات وبعد

1- إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر (د.ب، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.1999)، ص: 28-29.

2- عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص: 23.

الانصراف انفراد أفضل العلماء لتحرير صك البيعة في مجلسهم العالم "محمد بن عبد القادر الشهير بابن آمنة خال الأمير".¹

وتحاشي الأمير لقب الخلافة كي لا يصطدم بالخلافة العثمانية ويتحدى سائر أمراء المسلمين بلا جدوى....الإمارة، وقبل بالسلطة أولا ولكنه تحاشى لقبها مراعاة لسultan المغرب الأقصى، مكتفيا بإمارة، ولما شاع أمر البيعة الأولى الخاصة بدأت الوفود تتوالى من كل الجوانب، فانعقد مجلس عام حضره جمهور غفير من الأشراف، والعلماء والرؤساء من كل القبائل.²

- البيعة الثانية:

أما عن البيعة الثانية فقد كانت في 4 فيفري 1833، وبعد أداء مراسيم البيعة وتدوينها من قبل سيدي محمد بن حواء المهاجري، وقد أكد الكاتب في النص مكتوبات أن المبايعة كانت عن الرضا وأنها جاءت على كتاب الله ورسوله، وهي بيعة عز وتعظيم وتبجيل بيعة يعز الله بها الإسلام، ومن هنا استقر الأمير عبد القادر وأصبح أميراً.³ تعد هذه البيعة ذات قيمة مميزة في السياسة الشرعية الجزائرية والإسلامية أي على السلف الصالح، موهي أيضا بيعة سياسية لسنها نظام الحكم، وبيعة مباركة صار بها الأمير أميراً اكتسب شرعية وجمع بها أغلب الشرائح الاجتماعية.⁴

ثم كون حكومته الجديدة بإنشاء مجلس الشورى، رجع إليهم في شؤون القضاء خاصة، واحتفظ لنفسه بمنصب القائد الأعلى للقوات المسلحة، ومن المعروف أن حامل لواء المقاومة لم يكن من سلالة الملوك والسلاطين، فهو من النخبة العالمة أو المثقفة التي

1- محمد طمار، عبد الجليل مرتاض، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط. 2008)، ص: 249.

2- العربي صور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، (الجزائر، دار المعرفة، د.ط. 2006)، ص: 30.

3- إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري، (الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز مسعود والبابطين للإبداع الشعري، د.ط. 2000)، ص: 206.

4- أحمد عميرايوي، أوراق تاريخية، (الجزائر، دار الهدى، د.ط. 2006)، ص: 27.

تحظى بأعلى مراتب الشرف والاحترام في ذلك العهد، وفي كل مناطق الجزائر، وإن كان يحق للأبناء والأحفاد الاعتزاز والافتخار بأمجاد ذلك الرجل العظيم، فإن الجزائر لم تعرف ما يزيد على أربعة قرون وحتى في عهد الدايات، وراثه مثل هذه الألقاب.

أ- شرعية البيعة الخاصة:

إن الأمير لم يكن ليرشح نفسه للإمارة لكونه ليس بوريث لزعامة سياسية أو إدارية أو عسكرية أو إقطاعية، بل هو رجل دين، لبي نداء الجهاد، وقاد أولى معاركه بشجاعة مثبتا كفاءته، فكانت هذه القيادة هي بداية الخلافة الشرعية لعبد القادر من والده محي الدين، كما أن الحضور التام للعلماء أعطى الشرعية لصيغة المبايعة.

وبخصوص الجانب القيادي من شخصية عبد القادر، نقول بأننا لا نرى في مسيرته ما يدعو إلى نسج حكايات أسطورية، ولا نجد في كفاحه البطولي أي خوارق ومعجزات قلما يتولى الرجل وظائف سامية في السابق، فلم يكن لا بايا، باشا أو أغا بل كان شخصا عاديا من خريجي الزاوية القادرية¹

ب- شرعية البيعة العامة:

قامت دولة الأمير على شرعية شعبية كان أساسها رضى الناس والتفاهم حول الأمير وتأبيده، إن كل الدول التي عرفتها المغرب كانت ذات طابع وراثي إلا أن دولة الأمير كانت مختارة تستند إلى مبادئ الدين كالعدل والتكافل.

إن الشرعية التي قامت عليها دولة الأمير التي منحها له الشعب، وكانت بإجماع العلماء على عكس القرارات السابقة التي كان يوجهها البايك، وشيوخ الزوايا أو المغامرون الثائرون، حيث يذكر الدكتور- أديب حرب- القبائل الممثلة برؤسائها والتي حضرت البيعة وهي في مجملها قبائل هامة وتملك سلطة القرار في إيالة الغرب مثل بنو عامر وبنو مهاجر والعزابة.وقد اكتملت شرعية بيعة الأمير العامة بتوقيع هؤلاء الأعيان

1- فائزة عبد المجيد، الأمير عبد القادر الجزائري،(د. د. ب، مجلة العربي، مج2، العدد 57، أوت 1963)، ص:53.

والعلماء عليها، حيث شهدوا البيعة ووقعوا على الصك الذي سجلت فيه، إثباتا لشهادتهم التاريخية، كما قبلوا المهمة التي أسندت إليهم من طرف الأمير والمتمثلة في نشر البيعة حرصا منه على إبلاغ الجميع بها.¹

3- مفهوم الأمة:

3-1- لغة: هي الدين والطريقة، فيقال فلا أمة له، أي لا دين له ، كما تدل عند العرب أيضا على النعمة والعيش الحسن.

والأمة تعني كل جماعة بشرية، وكذلك كل جنس من الحيوان والطيور، ويذهب بعض المستشرقين إلى اعتبار مصطلح الأمة دخيلا على اللغة العربية نظرا لعدم شيوعه بين العرب قبل الإسلام، وأنه من المصطلحات الأجنبية القرآن الكريم، ويرى هؤلاء المستشرقون أن اللفظ قد يكون مأخوذا من العبرية (أما) أو من الأرامية (أميتا).

3-2- اصطلاحا:

تعرف الأمة على أنها مجموعة من الناس الذين يرتبطون فيما بينهم بجامع مشترك أو عدة جوامع، كاللغة، والأصل المشترك، والدين والتاريخ، ويرتبط هؤلاء الأفراد فيما بينهم بالمصالح.²

3-3- مفهوم الأمة عند الأمير:

هي جماعة من الناس الذين يعيشون في وطن واحد وتجمعهم صفات موروثية ومصالح واحدة، الذين يرتبطون فيما بينهم بجامع مشترك اللغة وأصل مشترك كالدين

1- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، (د.ب، دار الرائد للكتاب، د.ط.د.س)، ص: 87.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الجزء الثاني، (لبنان ، بيروت، دار الكتاب اللبناني)، 1982، ص: 507.

والعرف والتاريخ، والأصل أن تكون مبنية على الكتاب والسنة والحق والعدل، ويربط هؤلاء الأفراد مصالح مشتركة التي تجمع شملهم وتجعلهم وكأنهم على قلب رجل واحد.¹

4- مفهوم السلطة:

4-1- لغة: السلطة في اللغة هي القدرة والقوة على الشيء والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره.

4-2- اصطلاحاً: وهي نوعان:

أ- سلطة نفسية: وهي ما نطلق عليه اسم السلطان الشخصي، بمعنى قدرة الإنسان على فرض إرادته على الآخرين بقوة شخصيته، وثبات جنانه، وحسن إشارته، وسحر بيانه.
ب- سلطة شرعية: وهي السلطة المعترف بها في القانون كسلطة الحاكم، والوالد، والقائد، وهي تختلف عن القوة، لأن صاحب السلطة الشعبية يوحى بالاحترام والثقة، في حين أن صاحب القوة يوحى بالخوف والحذر.

4-3- مفهوم السلطة عند الأمير:

إن سلطة الدولة في النظام الديمقراطي مستمدة من إرادة الشعب لأن الغرض منها حفظ حقوق الناس وصيانة مصالحهم لا تسخيرهم لإدارة مستبد ظالم، وجمع سلطة سلطات وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية والسلطات التربوية والدينية والقضائية... الخ.²

- وتعرف السلطة في الفلسفة على أنها كل شخص يمتلك بيده سلطة ضمن إطار معين وكل صاحب سلطة يضع القوانين التي يراها الناس مناسبة، ويخضع الجميع لها، فصاحب السلطة ملك للقرارات ومشرفاً على تنفيذها.

1- بوطالب عبد القادر، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، 2010)، ص:28.

2- مقصود محمد، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1830-1919، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2016، ص: 18-20.

والسلطة عند الأمير عبد القادر تعتمد أساسا على القبيلة والحمية العصبية، فلا يدين الفرد إلا لقبيلته أو عشيرته.

5- مفهوم الخلافة:

5-1- لغة: الخلافة في اللغة تشتق من خلف، وخلف رفيقه أي سار خلفه وناب مكانه، والخلافة هي الإمامة أو الإمارة، ويقال عاش في عصر الخلافة، أي عاش في المرحلة التي حكم فيها الخلفاء الراشدون ومن جاؤوا بعدهم.

5-2- اصطلاحا: الخلافة اصطلاحا فهي الاصطفاء: أي التي اصطفى بني البشر من دون الخلق ككل من الملائكة والجن والحيوان يستخلفهم في الأرض ويعمرون بما فيه صلاحها، كما أن الخلافة هنا تكون باختيار الله لنبي قائد يوحى من الله وينقل رسالة الله للبشرية.

5-3- الخلافة عند الأمير: والخلافة عند الأمير عبد القادر هي بناء الإمارة أساسها إخلاص الحكم وثقة المحكومين لأن الأمير يدرك أن بقاء الدولة والحكم لن يأتي بأي حال من الأحوال إلا إذا كانت الثقة متبادلة بين الحاكم والرعية، لأن الأمير وعى الدرس من سياسة الأتراك التي كانت منعزلة عن الشعب.

والخلافة عند الأمير هي أداة لفرض النظام في ربوع الدولة التي انتشرت بها الفوضى والاضطرابات بعد رحيل الأتراك وبالتالي فهي صفة شرعية تجلب إليها الدعم والتأييد.¹

عقد يحصل بالمبايعة من أهل العقد والحل لمن اختاروه إماما للأمة، بعد التشاور بينهم في البيعة أن تكون على الكتاب والسنة، وإقامة الحق والعدل من قبله وعلى السمع والطاعة والمعروف من قبلهم.

1- رضا رشيد، الخلافة، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 1992)، ص: 34.

المبحث الثالث: تطبيقات الفكر السياسي للأمير عبد القادر.

1- الجانب السياسي:

- الحنكة السياسية للأمير عبد القادر:

لم يكن يتصور الأعداء، بأن الرجل البدوي المتعصب - كما يحلو لهم وصفه - يملك دبلوماسية ذكية في التفاوض، وله الدهاء الوظيفي المتميز في السلم والحرب مما يجعله يملئ عليهم شروطه بالقوة إن استطاع أو يمررها بحنكته السياسية إذا ما جنح الخصم إلى السلم، وفي مسيرته السياسية ما يؤكد ذلك:

- أولاً: معاهدة "دي ميشال" : وهي معاهدة فرض فيها الأمير شروطه على دي ميشال، بعد أن دفعه لطلب الهدنة تحت ضربات جيشه، وأجبره على قبول إملائاته المتكافئة ظاهرياً وباطنياً كلها لصالحه منها الاعتراف باستقلال الجزائر، والسماح لرئيسها بتعيين القناصل في الدول الأجنبية، مما دفع "بيليسيسي PEMMISSIER" إلى القول بأن الاتفاقية أكد اعتراف بالدولة الجزائرية، ومنحت زعيمها صلاحيات اقتصادية وسياسية واسعة، منها احتكاره للتجارة الخارجية، من رجال الميليشيات، ليتمكن من توجيه الضربة القاضية إلى زعماء القبائل المنشقين عن الصف، وإنهاء مرحلة الفوضى، التي تسبب فيها المتمردون عن السلطة، من الذين قبلوا بحماية العدو والتعاون معه، - وإحلال مكانها شرعية جديدة بديلة لسلطة البايات المنحلة.¹

- ثانياً: معاهدة تافنا: حيث توجه الجنرال بيجو إلى الشمال الإفريقي وفي حقيقته السياسية نوايا خبيثة لا يجهلها الأمير المطلع جيد عما يريد بيجو، وذلك بفضل اشتراكه في الصحف الفرنسية.²

1- تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص: 106.

2- تشرشل: المصدر نفسه، ص: 150.

نزل بيجو الجزائر مهددا باستعمال القوة، ومتوعدا بحرب شاملة إذا ما رفضت شروط سلمه، وهو يعني جيدا أن الأمير لا يزال في حالة ماسة إلى المحافظة على استمرار السلم، ومتيقن بأن الجبهة الداخلية لدولته لا تزال هشة في المجال السياسي، وضعيفة في شقها العسكري، مما يتعسر على الأمير الدخول في حرب شاملة، كالتى يتوعده بها.¹

فدفع هذا الشرط المهين للأمير بتوظيف دهائه، ليتجنب شر بيجو وخبث سياسته، فلجأ إلى توظيف سلاح عبقريته، وتفعيله في تهدئة اللعب ليجمد شروط المعتدي ويبعد شبح كارثة الحرب، فيتفرغ حينها إلى توحيد صفة المقاومة، وتبديد طموحات المعارضين السياسيين، فسعى بذكائه العملي إلى عقد مؤتمر جامع لمعارضيه، ومناصريه، فكان له ما أراد، وبعد مخاض عسي ونقاش مثمر مكنه أنصاره من انتزاع الضوء الأخضر للدخول في مفاوضات مضنية، عسيرة، وشاقة انتهت بمعاهدة التافنا، الذي يجمع عليها ساسة فرنسا ومتقفوها، بأن بنودها كانت كلها لصالحه، منهم "ديبرمون - DEBERMON" الذي يرى أنها أحطت من شرف فرنسا، وحققت للأمير فوائد سياسية همة، منها حصوله على اتفاقية سرية، تؤكد اعتراف فرنسا بدولته القويمة.²

وذلك ما دفع بمعارضيه إلى التشاؤم من بنودها، بخلاف أنصاره الذين اعتبروها فوزا عظيما لقضيتهم، مكنهم من تحرير كل التراب الوطني ، ماعدا الذي يقبع عليه الجيش الفرنسي، وما أسرهم كثيرا وأسعدهم عودة مدينة تلمسان إلى دولتهم.

أما عند أعدائه من الفرنسيين، فقد أحدثت المعاهدة زلزالا سياسيا، ونقاشا واسعا بين الساسة والمتقفين، والقادة العسكريين، ولعل المعرب "سولفي - solvet" كان أكثرهم واقعية بحيث يرى أن توقيع بيجو على المعاهدة استسلاما لشروط غريمه الأمير يمنح الضوء

1- العربي الزبيرى، مرجع سابق، ص: 55.

2- العربي إسماعيل، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1982)، ص: 44-45.

الفصل الثاني:.....الفكر السياسي للأمير عبد القادر

الأخضر للقضاء على حلفاء فرنسا في المنطقة، ويكرس له الشرعية والسيادة على المملكة القديمة ما عدا قسنطينة، والمجال البحري الضيق من ناحية وهران والجزائر.

أما "روسي-rousset" فيرى أنها ألعن وأخطر من معاهدة دي ميشال، كما يعترف "موقان- mauuin" بأن فرنسا تخلت عن الجزائر للأمير بموجب هذه الإتفاقية، ويخلص بعضهم إلى أن المعاهدة وضعت فرنسا أمام العالم في قفص المتحايل والمخادع بخلاف الأمير الذي مكنته من اكتساب الشرعية القانونية، التي لم تتمكن فرنسا من التملص منها، إلا بنبض المعاهدة ودفع الأمير بالعودة إلى الحرب.¹

وتمثل كذلك الدهاء السياسي من خلال الرسائل الذي وجهها للفرنسيين وما أظهره من عبقرية حربية نادرة لا تقل كذلك عن عبقريته السياسية، وكذلك عن طريق استعماله لكل أنواع الموجهة المشروعة مع العدو، وكذلك في فلسفته الخاصة في توجيه الدخل، بالإضافة إلى المحافظة على الروح الإنسانية، ومن بين رسائل الأمير إلى الفرنسيين التي تدل على حنكته السياسية، يرسل الأمير كل من ذلك رئيس فرنسا ووزير الدفاع للعدو عن انتهاكاتهم لمعاهدة تافنا، وأنذرهم بأن التمادي في مثل هذه التصرفات سيؤدي لا محالة إلى إشعال نار الحرب من جديد .

2- الجانب العسكري:

- الحنكة العسكرية في تنظيم الجيش عند الأمير عبد القادر:

اعتنى الأمير بالشؤون العسكرية وأولاهها اهتماما كبيرا، وركز على إنشاء جيش منظم وقوي وزعه بكافة أنحاء البلاد تحت إشراف حلفائه، وقد تأثر ترتيب وحداته

1- إتيان برونو، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط2، 2001)، ص: 55.

الفصل الثاني:.....الفكر السياسي للأمير عبد القادر

بالقوانين الفرنسية والتركيبة دفعة إلى تدريبها على أحدث الأسلحة ووفقا للنمط القتالي الأوروبي، ووصف الأمير تنظيمه العسكري هكذا¹.

"بالإضافة إلى القوات التي كانت ترسلها القبائل الخاضعة لي وقوات حلفائي التي كانت تشكل قوة احتياطية ضخمة، رغم أنها مؤقتة ما دمت لا أستطيع أن أحتفظ بالجنود البعيدين عن قبائلهم مدة طويلة، كما كان لدي مؤخرا جيش نظامي 8000 جندي و 2000 فارس، 240 مدفعا— دون ذكر مخزن كبير من المدافع الحديدية النحاسية التي خلفها الأتراك".

كما تقلد الأمير زمام السلطة في إمارته، وهو يعلم أنه ينطلق من العدم، وأن عليه أن يكون عند حسن ظن مبايعيه، ولن يأتي ذلك إلا بإنشاء دولة قوية عسكرية من جيوش وعتاد، فالإ جانب كونها تعطي صورة مهيبة للإمارة فإنها أيضا أداة لفرض النظام والأمن في ربوع الدولة التي انتشرت بها الفوضى والاضطراب بعد رحيل الأتراك، صف إلى ذلك أن التنظيم الاجتماعي في الجزائر حين تولى الأمير السلطة كان يعتمد أساسا على القبيلة والحمية العصبية فلا يدين الفرد إلا لقبيلته أو عشيرته، إماما يعرف الوطنية القومية فقد كان مفهومها غير متقبل أو غير متعارف عليه، وحتى في حالة الحرب أو المنازعات كانت القبائل تجمع أفرادها وفرسانها لتغزو بهم أو تتال لهم عدوا مهاجما، وفور المعركة يعود كل فرد إلى عمله المعتاد.

ولهذا اتجهت نظرة الأمير إلى إعطاء هذا الجانب الهام الأولوية المستحقة وإلا فأن سلطانه سيظل دوما عرضة للخطر والزوال، لأن فرنسا صاحبة الجيوش المدربة المنظمة

1- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (د.ب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط.1، 1983)،

الفصل الثاني:.....الفكر السياسي للأمير عبد القادر

والعتاد الحربي الحديث والضباط الكبار الأكفاء والجيوش النظاميين ذو الكفاءة العالية تدريباً وقاتلاً، فكانت هذه الحقائق الثابتة غير خافية على الأمير الفارس.¹

- القوة العسكرية:

منذ تولي الأمير عبد القادر الأمور وهو على علم بأن قوة الدولة وهبتها لا تكون إلا إذا كانت هناك قوة عسكرية لها عدتها وعتاها، وذلك لما تعطيه من هبة للإمارة وفرض النظام والأمن في الدولة التي انتشر فيها الفساد في ظل النظام التركي، وكان على يقين أنه لمواجهة العدو الفرنسي لابد من تهيئة الظروف المادية والبشرية.² فبعد أنه في بداية الأمر كان جيش الأمير جيشاً شعبياً فكانت الأمة كلها مجندة للقتال في وقت الحرب فكان الفلاح يغادر حقله والتاجر يغلق متجره وحين انتهاء الحروب يعود الكل إلى حياته، ولكن هذه الحشود لا يمكن الاعتماد عليها لمواجهة العدو، فعقد الأمير مجلساً عمومياً من رجال الدولة وأعيان الرعية وزعمائها وخطب فيهم خطبة بين فيها فوائد العسكر النظامي ومنافعه وأخبرهم أنه اعتزم تنظيم جيش فوافقوه على الأمر.³

- يتشكل الجيش النظامي من العسكريين والمجندين والمتطوعين: ثلاثة أسلحة والحرس الأميري، الخيالة والقوم، المشاة أو المدفعية أو الطوبجية*، وكان شعار جيش الأمير موحد بين مختلف الأسلحة وهو عبارة عن حربة لشكل هلال ركزت على عصا مزينة بالنقوش.

- الجيش الغير نظامي يتكون من مجندين من القبائل، ويتشكل من الفرسان والآلاف من الراجلين، كانت تلتحق بالوحدات النظامية لتقاتل في صفوفها وقت الحرب، ثم تعود إلى ديارها فور انتهاء المهمة الموكلة إليها.

1- محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص: 226.

2- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش، (الجزائر، وزارة الثقافة العربية، د.ط، 2006)، ص: 35.

3- مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، (دبي، المكتبة الأردنية الهاشمية، ج1، 1961)، ص: 158.

*الطوبجية كلمة تركية وتنسب إلى طوب وهو المدفع والطوبجية أي المدفعيون، هم العناصر الذين يشعلون المدافع أثناء التمارين أو في القتال.

الفصل الثاني:.....الفكر السياسي للأمير عبد القادر

- قوات جيش الأمير كانت تجمع عناصر الجيش من القبائل المؤيدة للأمير والموزعة في مختلف أنحاء إمارته واختلف تعداد هذه القبائل من سنة إلى أخرى فبلغ حوالي 83 ألف مقاتل من مشاة وفرسان سنة 1830، و53 ألف في أواخر 1839 وقد وصلت نسبة الفرسان فيها 70 %.

- نظم الأمير وحداته بشكل يتوافق مع تنفيذ أهدافه، وأوجب على عناصرها التسجيل في دفاتر الأمير، وأن تطبيق التجنيد الإلزامي في الإمارة لم يمنعه من اللجوء للتجنيد الاختياري، وثم تنفيذ هذا الإجراء إلى عامة الناس، وتتلخص شروط الانخراط في جيش الأمير إلى المبادئ التالية:

✓ أن يكون الجندي جزائرياً، مسلماً، عاقلاً، بالغاً وحرّاً.

✓ أن يتمتع ببنية قوية، وصحة جيدة.

✓ أن يتفرغ للقتال دون الانصراف إلى مهن أخرى مثل الزراعة والصناعة.¹

وبعد رجوعه من واقعة الدوائر، عقد مجلساً عمومياً من زعماء الدولة وأعيان الرعية وزعمائها، أن يتجاوزا حدود القبيلة أو الإقليم، وخطب فيهم وأوضح فيها فوائد العسكر النظامي ومنافعه، وأخبرهم أنه اعتزم على تنظيم عدد منه كاف، فأجابه الجميع ووافقوه عليه، وأخذ ينادي بأعلى صوته في الأسواق، أنه أصدر أمر مولانا ناصر الدين تجنيد وتنظيم العساكر من كافة البلاد فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي فليسارع إلى دار الإمارة ليقيّد اسمه في الدفاتر الأميرية.²

وهكذا بدأ عهد جديد في تنظيم جيش وطني فتوافدت الجموع التي رأت في نفسها القدرة على حمل السلاح، فتطوع بنفس راضية لتتال شرف الجهاد والقتال تحت لواء

1- إينروبله، محمد بن عبد الكريم، وشائج الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، (الجزائر، ديوان العسكر المحمدي الملياني، د.ط، 1968)، ص: 40.

2- بوعزيز يحي، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكمها العسكريين بمليّة، (الجزائر، ط1، دار النشر والتوزيع، 1982)، ص: 74-85.

الأمير عبد القادر، وبذلك اعتبر الأمير المجاهد أول من كون جيشاً وطنياً منظماً وموحداً بناه من العدم وهياً له الوسائل وأنشأ مصانع تنتج الأسلحة الملائمة مستعيناً بخبرة الإسبانيين والفرنسيين وغيرهم، ولم يول الأمير مهمة الجيش أحداً بل تصدى بنفسه لتدريبه وتنظيمه والإشراف عليها لما يمتلكه هذا القطاع من أهمية بالغة فعليه تتوقف قوة الدولة وعزتها ومناعتها، فلا بد إذن أن يكون الإشراف مباشرة من نفسه وهو يعلم الصغيرة والكبيرة فيه فقسم جيشه إلى ثلاث فرق: فرق المشاة، فرق الخيالة، فرقة مدفعيون، ووضع دستوراً أو قانوناً عسكرياً يحتوي على آخر التفاصيل المتعلقة بالانضباط والرواتب وملابس جنده.¹

- الجوانب العسكرية لدولة الأمير:

- الترقية العسكرية: وضع الأمير سلسلة من الرتب والشارات المميزة في جيشه على النحو التالي:

- تميزت رتبهم وشاراتهم لأغاً بأربع علامات من الذهب، اثنتان على منكبيه إحداهما مكتوب عليها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله والأخرى "الصبر مفتاح النصر، أما السيف عليه علامتين من الفضة على شكل سيف.

- تميز رئيس الخيالة بعلامتين من الذهب إحداهما كتب عليها الحديث الشريف: "الخيال معقود بنواحيها الخير إلى يوم القيامة".

أما سيف الخيالة عليه علامة واحدة مصنوعة من الفضة كتب عليها "أيها المقاتل من أطاع رئيسه واتقى مولاه نال ما يرجوه ويتمناه".

- تميز باشا طوبجي بعلامة مدفع من الفضة، كتب عليه قوله تعالى: "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى".

1- دحوح عبد القادر، استحكامات الأمير عبد القادر مع العسكرية 1252- 1258 هـ (1836-1842م)، (الجزائر، دراسة تاريخية أثرية، مرقم للنشر، 2008)، ص: 54-56.

- الجهاز الإداري:

تميز رئيس الكتاب بعلامة واحدة من الفضة كتب عليها لقب أمير المؤمنين ناصر الدين.

* الترقية:

تخضع الترقية في جيش الأمير إلى شروط محدودة وهي:

- يترقى الجندي إلى أعلى رتبة إلا إذا تحلى بالصفات الحميدة وبعد موافقة الأمير.

- يترقى الجندي إلى رتبة أعلى بالتدرج من الخيال إلى الخليفة إلى رئيس الخباء.¹

وكانت هذه التنظيمات تقرأ مرتين في الشهر لمختلف الوحدات وكانت تتخللها الوصايا والعهود للسلوك الطيب.

وقد تصدى أحد كتاب الجند بتكليف من الأمير لوضع رسالة جامعة لكل القوانين والضوابط والنواهي والأوامر، وكل ما يتعلق بأمور الجند وسلاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ويليه ديوان العسكر المحمدي الملياني، استهلها كاتبها بإيراد التكليف الوارد من الأمير.

يقول وشاح الكتائب وزنية المحمدي الغالب ممن أمر بتنفيذه: سيدنا ومولانا أمير المؤمنين مولانا الحاج عبد القادر نصره الله أمين.

وقد أوضح مؤلف وكتائب الرسالة كل ما يتعلق بالجنود من نظام ولباس وعتاد وأسماء الضباط والقوات والجنود، وهي وثيقة هامة لا يستغنى عنها في الدراسة.²

- وبطبيعة الحال فلا بد لهذا الجيش من عتاد وأسلحة حتى يقوم بالدور المنوط به على أحسن وجه، فلا جيش بلا سلاح ومتى كان التسليح والتدريب جيدا فإن الجيش إلى درجة يمكن الاعتماد عليه داخليا وخارجيا، قوله تعالى داعيا إلى الأخذ بالأسباب "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" سورة الأنفال.

1- عبد الرزاق بن السبع، مرجع سابق، ص: 25-26.

2- سويت أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830، (الجزائر، دار الكتاب للنشر والتوزيع، 2010)، ص: 103-104.

ولذلك جعل الأمير من تسليح الجيش مهمة أساسية قام بأعبائها أحسن قيام، استخدم كل السبل لتحقيق هذه الغاية النبيلة، فمن الإجراءات الأولى التي اتخذت لحماية عاصمة الدولة الجديدة هي تزويدها بالمدافع كما وجه بعثات كثيرة إلى مختلف الدول ك شراء الأسلحة، اتفاقاً مع سياسته التي تركز على الحصول على السلاح من أي جهة.

كما سعى جهده لاستيراد السلاح من الدولة الوحيدة التي عارضت الغزو الفرنسي حفاظاً على التوازن الدولي ثم تغاضت عنه، وهي إنجلترا، ولكنه فشل ونظراً لخطورة تجارة السلاح فإن عبد القادر لم يسمح لقواته بشراء الأسلحة والذخيرة وإنما حصل على هذا العمل بع ومن ينتدبه.¹

- الانضباط في الجيش:

وضع الأمير تعليمات تطبق داخل الجيش وهي تعليمات انضباطية منها مناداة الجنود صباحاً ومساءً، وتفقيشهم ومراقبتهم يوم الاثنين والخميس، وتوفير وضمان احتياجات كل الجنود، ويتم منح إجازة للجندي في حالة المرض والعقوبات تطبق على الجميع من الجندي إلى الضابط، وتسجل في دفتر يسجل العقوبات، كما أنه هناك سجلات أخرى منها سجل المدخولات والمستخرجات وسجل لذخائر الحرب، وسجل للسلع الغذائية وسجل لثمن الأشياء من أثاث وملابس وأسلحة وقيمة النصيب اليومي للمواد الغذائية ويتم معالجة المرضى في دار يتم تعيينها من طرف السلطات، وفيها الفراش والأدوية وطبيب وممرضون، وكانت نية الأمير تكوين وتأسيس مدارس في الطب.

كما احتوت على التفاصيل المتعلقة بالانضباط والرواتب وملابس جنده، وكانت هذه التنظيمات تقرأ مرتين في الشهر لمختلف الوحدات، وبعض الوصايا والوعود للسلوك الطيب، منها الشجاعة والإقدام والمحافظة على الدين والأخلاق العالية من حلم وصبر وحذر وذكاء في ساعة العسر والخطر والجندي الشجاع ، ويحظى بالتقدير من طرف

1- أديب حرب، مرجع سابق، ص: 94.

السلطان، ويعلق له وساما، أما الجيش فتعلن بطولاته بطرق الطبول وبإضافة في راتبه شلنا واحدا شهريا.

- الإستراتيجية العسكرية:

كما اعتمد الأمير إستراتيجية متمثلة في عدم مواجهة العدو والاعتماد على الكمائن والحيل والاختفاء والهجوم بفرق صغيرة، وجلب العدو في مناطق لا يعرفها، مثل معركة مولاي إسماعيل ومعركة المقطع وسيدي إبراهيم.

كان الجيش مسلحا ببنادق فرنسية وانجليزية وهي غنائم من المعارك أو من الجنود الفارين أو اشتراها من المغرب الأقصى، أما البارود فكان في كل من تلمسان ومعسكر والمدية، وتادمايت ومن ثم شراء كميات كبيرة من المغرب الأقصى، أما الكبريت فكان يأتي من فرنسا وملح البارود فهو موجود ، أما الرصاص فيأتي من المدن الساحلية الفرنسية في وقت السلم ، وكذلك من المغرب الأقصى ومن أشهر الأوروبيين الذين استعان بهم الأمير عبد القادر في صنع السلاح الإسباني دون فوصي الذي أدار مصنع المدافع بتلمسان، ومن ثم فتح مصنع الرصاص في جبل الونشريس.¹

كانت ألبسة الجيش مشكلة من نوعين: الجوخ "أطف" والكتان "الشبابق" ورئيس العسكر تميز باللون الأحمر، أما الألبسة المصنوعة من الكتان فكانت من نصيب جنود العسكر المحمدي، وكان جميع ضباط الجيش يحملون عبارات مكتوبة على بدلاتهم، هكذا نجد أن الأمير اعتمد في تنظيماته العسكرية والإدارية.²

إلى جانب المرتبات والألبسة كان أفراد الجيش يحصلون على التغذية مجانا أثناء الخدمة، كما حدد الأمير عبد القادر في نظامه العسكري رواتب شهرية كل ثلاثة أشهر ويتم استلامها في ساحة المعسكر.

1- حلامي علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، (الجزائر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 2007)، ص : 65-64.

2- هنري تشرشل، مرجع سابق، ص: 66-67.

وتتواصل معاملة الأمير لجنوده من خلال قانونه العسكري والذي كان واضحا بخصوص الجرحى والمرضى وعائلات الشهداء.¹

وليس معنى ما تقدم أن الأمير قد أهمل الصناعات الحربية الوطنية واعتمد على الاستيراد فقط، بل إنه سعى جاهدا لبناء معامل الذخيرة والسلاح، وكان الأمير يختار المواقع الإستراتيجية الحصينة، كاختياره لمليانة التي بني بإحدى ضواحيها مصنعا هاما لصنع الأسلحة والذخيرة الحربية، وهكذا اوجد الأمير صناعة حربية محلية، تعتمد على الموارد الذاتية وعيا منه بأن السلاح أداة ضغط، فوجب الاعتماد على النفس، وبدأت مصانع الأمير في إنتاج سلاح جزائري خالص.

- ولانعدام وسائل النقل المتطورة في دولة الأمير اعتد الوسائل التقليدية.

ولحكمة القائد المدرب الواعي، راح الأمير يرتب الجيش ويدربه وينظمه ويسلحه فيحسن تسليحه بقدر ما أتيح له ذلك، فأنزل بالعدو ضربات موجعة.

ثم انتهج عبد القادر في تدريبه لجيشه لمبادئ قتالية خاصة رأى أنها صالحة لجنده، كانت نابعة من معرفته بطبيعة البلاد بجبالها ومسالكها فاستفاد من هذا في أن يكون دوما صاحب المبادرة في النزال، ومعادة العدو ومهاجمته من حيث لا ينتظر.²

وقد شهدت معاركه آنذاك حرب العصابات الحالية عن الحرب النظامية واعتمد أسلوب المباغثة والكر والفر بما يلاءم قواته، وليس هذا جهلا من الأمير بخطط المعارك ولكنه فضل المباغثة والكمائن ورفض التقيد بقانون قتال أو تنظيم معين فيها هو ناضر خارجية الأمير - المولود بن عراش- يوضح في هذه المقولة المفخمة التي رد بها على الجنرالات أساليب جيش الأمير في القتال³

1- سكوت، مذكرات إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة إسماعيل العربي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص: 66.

2- هنري تشرنتشل، مرجع سابق، ص : 139.

3- سكوت، مصدر سابق، ص: 108.

- الالتزام الشرعي:

- لقد تجلت مظاهر الالتزام الشرعي في عدة جوانب نذكر أهمها:

أ- التواضع والزهد:

اتصف الأمير بالتواضع لأنه لم يكتف بنسب هذه الصفة لنفسه، بل كان يلزم مساعديه بالتحلي بالتواضع، وما ينجر عنه وعدل وإحسان، فهو قدوتهم في ذلك لأنه أول من أنكر على أهله البذخ، وأولهم زوجته التي انزعج منها لارتدائها الحلي والثياب الغالية الثمن، وكذلك أخوه الذي رآه يرتدي برنوسا به شواشي وحواشي من الذهب فقطعها بإنزعاج لأنه يمقت التباهي.¹ ويحب التواضع لكونه يؤمن بأن من تواضع لله رفعه كما أثبت لرعيته عمليا أنه لا فرق بين أموالهم وأمواله حين يتعالى نداء المساعدة من أجل إيجاد الجيش بالسلاح والمؤن، ونتيجة لتباطؤ القبائل في منحها القرض باع الأمير في الحال مجوهرات أسرته في سوق معسكر، معلنا أنه ستوجه لبيت المال عندها فقط قررت القبائل بتقديم الدعم، ولهذا لم يحب الثروة والغنى في بداية جهاده كانت نظرتة للمال خاصة لأجل تحقيق الغايات الخيرة التي سمح بها الدين فعاش حياته ببساطة².

ب- معاملة الأسرى:

وفي هذا الجانب تطرق العديد من الباحثين إلى موضوع معاملة الأمير عبد القادر للأسرى والمعتقلين من جيش العدو، وأكدوا أن معاملة الأمير لسجناء وأسرى الحرب كانت مبنية على التسامح ونبذ العنف واحترام حقوقهم كإلزام شرعي، ولعل من أهم ما زاد في القيمة التاريخية لشخصية الأمير تلك المواقف الشهيرة لمعاملته الراقية للأسرى،

1- هنري تشرنتشل، مرجع سابق، ص : 40.

2- المرجع نفسه، ص: 46.

والتي أعطت صورة مثالية لما ينبغي أن يكون عليه الرجل المصلح المعبر عن الشخصية المسلمة.¹

إن تشبع الأمير بقيم الحضارة الإسلامية منذ صغره هو الذي جعله يفهم حقيقة معاملة الأسرى، فإلى جانب معرفته الجيدة بقوانين الحرب كان الأمير يحرص على تطبيقها وفقاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يوصيهم بأن لا يقطعوا الأشجار أو يحرقوا الزرع ولا يتعرضوا حتى للمناسك في دور العبادة، وأن لا يجهزوا على الجرحى، وفي هذه التعاليم دون أدنى شك قيم إسلامية سامية، كما سن الأمير قوانين خاصة بالحرب، تحدد كيفية معاملة الأسرى والمعتقلين من جيش العدو الفرنسي، وكان يعتبر كل موصوف في المعارك أسير حرب غلى أن تتاح فرصة تبادله مقابل أسير جزائري، كما حرم تحريماً قاطعاً قتل أسير مجرد من السلاح، وكانت غاية الأمير أن يعامل الأسرى وفق قانون الأسرى إلى مبادلتهم فتكون الاستفادة هامة، وكل من يأتي برأس أسير يعاقب بالجلد على رؤوس الشهداء، وقد حرص الأمير على احترام هذه القوانين، فاختر أحد جنوده الذي أتاه برأس أسير فتمت معاقبته حتى يكون عبرة ليثبت خطأ الجندي، ويبرر عقوبته سائلاً إياه: أين كانت بندقيتك عندما كنت تقطع رأس الأسير وكيف تستطيع حمل الرأس وتكون في وضع تتمكن فيه من استعمال بندقيتك عند اللزوم.²

أما بالنسبة لمعاملة المرأة الأسيرة، فقد كان منظر النساء السجينات يزعج الأمير عبد القادر، حتى أنه مجرد التفكير في أن تصبح امرأة ضحية للحرب في حد ذاته مصدر قلق دائم له، ولهذا كان يوصي فرسانه ويقودهم في الهجوم بأن لا يتعرضوا للحریم، أما أولئك الكلاب فعاملوهم بما يستحقون وصادف الأمير أن أحضر له أحد فرسانه أربع

1- حامد الجار، الجهاد وأبعاده الروحية والسياسية والاجتماعية في حياة الفرد والمجتمع في ملتقى الفكر الإسلامي العاشر، 10-19 بعناية، دار البعث، 1980، ص: 28.

2- خياطي مصطفى، أسرى الأمير عبد القادر، ترجمة: يوسف، طبع بالمؤسسة الوطنية للاتصال، 2013، ص: 126.

فتيات كغنيمة حرب هامة، فأدار وجهه اشمئزازا وقال في سخريته: " إن الأسود تهاجم الحيوانات القوية، أما أبناء آوى فتسقط على الضعيفة منها".

لقد كان قطع رؤوس القتلى في ميدان المعركة وحتى الأسرى عادة جارية في الحروب لكنه استنكرها و اشمأز منها ونهى عن تكرار مثل ذلك في القتال بكل صرامة، وأصدر أوامر على معاملة الأسرى بكل عدل ورجولة حسب قوانين الحروب، ولموضع الجنود بأن كل مقبوض عليه حيا، يعامل وفق قانون الأسرى إلى أن تحين فرصة تبادلية، وهذا يدل على الالتزام من خلال المعاملة الحسنة للأسرى الفرنسيين.¹ وقد وصف أحد الأسرى معاملة الأمير: " عندما مررت بالسلطان حياني بجلال فريد، وابتسامة مدهشة وأشار إلي بيده للجلوس، ثم سألني رأيي في بناء تحصينات، فأجبتة بأنها تظهر لي جيدة، ويبدو انه قد سر كثيرا"، تدل هذه الشهادة على حرية تنقل الأسرى في معسكر الأمير، وهذا ما أدى بالحكومة للسماح للأسرى بالخروج والتجول وقد أكدته بالفعل سكوت.²

ج- الجانب الاجتماعي: الخبرة الاجتماعية للأمير في تأسيس دولته.

كانت مرحلة الهدوء و الاستقرار التي شهدتها البلاد بين 1837- 1839 فرصة سائحة للأمير لتأسيس دولته و إنشاء مؤسساتها، و تمكن بفضل حنكته و قوته العسكرية في ترسيخ مبادئ العدالة و المساواة، و توفير الموارد المالية و الضرورية لمختلف الأجهزة للقيام بالمهام المنوطة بها، و اعتبر الجنرال دوما الأمير رائد التنظيم في البلاد إذ أستطاع في ظرف قصير أن يؤسس سلطة قوية، و وحد الشعب تحت قيادته، و حول هذا المجتمع إلى حقيقة، و كان هدفه من إنشاء الحكومة هو خلق جو من الشورى و إحداث التوازن بين السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية، و لهذا الغرض أنشأ الأمير مجلس الشورى الأعلى للأمير المتكون من السلطة التنفيذية هي حكومة الأمير.

1- مرسيل اميريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، ترجمة عبد الحميد بورابو، حميد بوحبيب، (الجزائر، دار الرائد للكتاب والطبع ، 2016)، ص: 168.

2- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962(بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ص: 68.

وبدأ الأمير في تنظيم البلاد، و مراقبته شخصيا تنفيذ خطته، و أصبح بذلك المنظم لبناء دولة قوية و إزالة جميع الصعوبات التي تعيق مشاريعه، و كون نظاما للإدارة و الجيش فاتصف بالتراتبية و البساطة، و أهم التنظيمات التي أقامها هي:

1- التنظيم الإداري:

_ **توزيع السلطات** : قام الأمير ثلاث سلطات تعمل ضمن قوانين مضبوطة و صلاحيات محددة و هي كما يلي:

1- أ- **سلطة تنفيذية**: تعتبر أهم سلطة في دولة الأمير عبد القادر، و ذلك بإشراك ممثلين من العلماء و شيوخ القبائل في حكومته في معسكر، و اختار أعضاء حكومته من حلفائه، و اقتدوا بالأمير و ساروا على خطاه في العمل، و واجهوا المشاكل و الصعوبات بكل حزم.

1- ب- **سلطة تشريعية**: اتخذ من القرآن الكريم و السنة النبوية و كتب المذهب المالكي و قد وجد مجلس واحد لدراسة قضايا الدولة، بالإضافة إلى وجود مجلس فرعية منها مجلس الشورى الأعلى و مجلس الشورى الفرعية.

1- ج- **سلطة قضائية**: يرأسها رئيس مجلس الشورى في معسكر، أما القضاة المحليون فهم في المدينتين العسكريتين، و كان القرآن الكريم المرجع الوحيد لأحكامهم، و انحصرت صلاحياتهم بالقضايا الشخصية، و في الحالات الصعبة كان الأمير يستشير العلماء و الفقهاء. كما قسم الأمير البلاد إلى ثمانية مقاطعات وهي: "مقاطعة تلمسان، معسكر، مليانة، التيطري مجانة الزيبان ، مقاطعة الجبال أو برج حمزة، مقاطعة غربي الصحراء.¹

1- أمير تيمريسيل، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، تر: عبد الحميد بورابو وحميد بوحبيب،(الجزائر، دار الرائد للكتاب والطبع، د.ط، 2014)، ص: 12.

2- التنظيم التعليمي:

أسس عبد القادر منذ البداية نظاما من التعليم العام بين جميع القبائل، و قد أنشأ المدارس لتعليم الأطفال الصلاة و تحفيظ القرآن، و تعليم القراءة و الكتابة، و قد قال من واجبي كحاكم و مسلم أن أهتم و أعتني بالعلوم و الدين، لذلك فتحت المدارس في المدن بين القبائل ، و كان الذين يريدون مواصلة التعليم يرسلون إلى الزوايا و المساجد، حيث يتعلمون بدون مقابل من طرف الشيوخ و العلماء الذين ساهموا في التعليم و أفنوا حياتهم فيه، كما قرر منح جائزة لكل شخص يحافظ على الكتب بمختلف أنواعها، و أمر بالمحافظة على العديد من الكتب و المخطوطات الخاصة بالدين، القانون، الطب، التاريخ و يعاقب كل شخص يقوم بإتلافها و إفسادها.¹

كما كان يحتفظ بهذه الكتب و المخطوطات مع كنوزه، و لقد وضعها في مخازن المساجد و الزوايا و في أيادي العلماء باعتبارهم يحافظون عليها.

3- التنظيم القضائي:

اهتم الأمير عبد القادر بالقضاء، فترأس السلطة القضائية بمساعدة رئيس مجلس الشورى الأعلى، و خصص للقضاة مرتبات خاصة شهريا 103 دورو أو كفرنكات فرنسية عكس الطريقة التي أعتاد أن يتلقوا بها مرتباتهم، بوسائل مختلفة و غير محددة، إذ يؤكد تشرشل مسؤولية خزينة الدولة على ترتيب مرتبات شهرية للقضاة بالإضافة إلى علاوات نتيجة قيامهم ببعض الواجبات الأخرى على اختلاف درجاتهم و كان ممثلي القضاء في كل مكان، و يتبع الجيش في مسيرته، بحيث يرفق قاضي و مساعدين الجيش أحدهما هو رئيس الشرطة الذي كان ينفذ الأحكام.²

1- علي المحجوبي، العالم العربي الحديث والمعاصر، فالتخلف فاستعمار مقاومة،(بيروت، دار محمد علي للنشر، د.ط، 2009)، ص: 108.

2- محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تر محمد المغربي،(الجزائر، المؤسسة الوطنية للطبع، د.ط، 2008)، ص: 78.

اعتبر الأمير التعليم أحد الأركان الأساسية في بناء الدولة و لم تمنعه ظروف الحرب من ذلك، حيث كان التعليم يتم بالطريقة التقليدية، و كان كل من العلماء و الفقهاء و مثلهم الطلبة و المدرسون يجودون بعلمهم و معارفهم كل منهم في القبيلة الخاصة به، و قد أقيمت في الأرياف مثلها مثل المدن، و لم يكن التلاميذ يدرسون القرآن فقط و إنما القراءة و الكتابة و الحساب و جعل الأمير التعليم مجانيا، فعمل على تنظيمه و نشره بين القبائل. كما بسط الأمير العدل بسرعة و بجدية بحيث يحاكم المذنب أمام محكمة العلماء، حسب ما جاء في نصوص القرآن و الحكم ينفذ في الحين أما حكم الإعدام فيتم تنفيذه في غرفة الرؤوس و يقوم الأمير بالحكم في خيمته عن طريق إشارات اليد فقط، فإذا رفع يده يرمى المذنب في السجن، و إذا جعلها عمودية يقطع رأسه، أما إذا خفضها نحو الأرض يتعرض المذنب للجلد و يكون الحكم شأنها سريعا جدا و صارما.¹

1- الصادق مزهود، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى التحرير الوطني، (الجزائر، دار بهاء الدين، ط2، 2012)، ص: 234.

الفصل الثالث

الفكر الديني عند الأمير عبد القادر

المبحث الأول: التصوف عند الأمير عبد القادر

المبحث الثاني: الطريق الصوفي .

المبحث الثالث: نهاية الطريق الصوفي

تمهيد:

يعد تصوف الأمير عبد القادر نموذجا حيا لتجربة روحية و فكرية ثرية فريدة من نوعها في العصر الحديث ،ذلك أن هذا الرجل قد جمع بين سبق و الفضل في تأسيس الدولة الجزائرية و التصدي للعدوان الاستدماري الغاشم بالجهاد الطويل و المرير ،وبين البحث المضني عن اليقين و الكمال ، الذي يقربه من أهل العرفان ، حيث يعد الأمير تلميذا للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ،بل و وارثا لمعارفه الكشفية و إشارات العرفانية .

والكتابة عن الأمير عبد القادر تحتاج إلى الكثير من البحث و التأني في التحليل، ذلك لأنه شخصية متعددة الأبعاد فهو رجل يختصر في كيانه امة بكاملها ، و يوجز في حياته عصرا بأكمله ، فهو مثل الكثير من العظماء لا يمكن أن تختزل حياته في رافد من روافد النشاط الإنساني ،يمكن الإحاطة به ، فهو الفارس و القائد و المجاهد و رجل الدولة السياسي الحصيف و الشاعر الملتزم ، و الفقيه الملم بل و العارف المتصوف الذي خبر السهل و الوعر في جميع ميادين التصوف السلوكي و العرفاني ، مع شغف كبير بالمطالعة فتحت له المجال للاطلاع على كتب العلم و الفلسفة و أعمال أفلاطون و فيثاغورث و أرسطو ، كما اشرب التصوف من خلال كتب الشيخ محيي الدين بن عربي و ابن سينا و غيرهم .

ولقد عمل الأمير على إحياء التصوف من خلال تجربته الروحية الذوقية و المعرفية، فمهما كثر الحديث عن ماهية هذه التجربة هل هي ذوقية عرفانية أم سلوكية أخلاقية فان الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الذي ساهم في بعث تراث الشيخ ، بل و كان جسرا للكثير من الباحثين الغربيين لفهم ما استغلق من آرائه كما ساهم بآرائه المتفتحة في استشراف دور العولمة .

المبحث الأول: التصوف عند الأمير عبد القادر

لقد اختلفت تعريفات العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافا كبيرا قلما يوجد له مثيل، وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلى الألفين، وقد نقل هذا إحسان الاهی في كتابه " التصوف : المنشأ والمصدر " ، ولذلك مهما قيل عن كثرتها واختلاف الناس فيها فإنها كلها لا طائل من ورائها عند التمعن في دراستها، مما يستدعي الحال غض النظر عن تلك التعريفات كلها، وإلقاء الضوء على الأقرب منها، وفيما يلي بيان ذلك .

_ مفهوم التصوف :

أ- في اللغة : يطلق علماء اللغة كلمة (صوف) في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، ومنها صوفان وصوفانه وتطلق على بقلة رغباء قصيرة، وقد أطلقت كلمة (صوف) في بعض دلالاتها بمعنى الميل، فيقال صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه، وصاف عن الشر أي عدل عنه¹.

ب- في الاصطلاح : التصوف هو تجريد العمل لله تعالى والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات عن النفس².

وذهب قسم كثير من العلماء إلى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم - أي الصوفية- إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي عبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة وقد علق القشيري على هذا بقوله : " فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف"³.

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص : 537.

2- غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها،(جدة ، المكتبة العصرية الذهبية- ج 2، ط2، 2010) ص:865

3- أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية، تحقيق: معروف مصطفى زريق،(القاهرة، شركة القدس للتجارة ج 2 ط1 2010) ص: 550.

ويرى أيضا بعض العلماء أن التصوف مأخوذ عن الصفاء، أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم، أو صفاء معاملتهم لله تعالى، وهو ما يحب الصوفيون التسمي به.

كما يرى البعض أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد، والبعض نسبة إلى الصف الأول، قال القشيري: "فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم، فالمعنى صحيح ولكن للغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"¹.

والبعض يرى أنه نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهي قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية، وهي تنتسب إلى رجل يقال له صوفة كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام هذا بالإضافة إلى أن البعض يروا أنها نسبة إلى الصفة من خلق الله².

وأصل كلمة التصوف هي مصدر الفعل الخماسي المصوغ من (صوف) للدلالة على لبس الصوف ويقول الأستاذ ماسينون: " أول رجل نعت بالصوفي لقبا مفردا لأول مرة في التاريخ هو جابر بن حيان صاحب المذهب الخاص بالزهد ثم أبو الهاشم الكوفي خلال النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد"³.

وبخصوص أصول التصوف نجد الأستاذ ماسينون يوضح قائلا: " إذا ما استبعدنا الأساطير المتأخرة فإننا نجد كبار أدباء من أمثال الجاحظ وابن الجوزي قد ذكروا لنا أكثر من زاهد عاصروهم كانوا يمارسون حياة التصوف كما نعرفه الآن، كما أجاز الكثير من المؤرخين باعتبار أبا ذر وحذيفة من السابقين إلى التصوف وجاء بعده هؤلاء النساك والزهاد ... " ⁴، وما قاله الأئمة في التصوف نجد قول الإمام مالك: " من تصوف ولم

1- أبو القاسم القشيري ، مرجع سابق، ص: 55 .

2- غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ص: 866 .

3- بلحيا بودواية، التصوف في بلاد المغرب العربي،(الجزائر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2009)، ص: 13 .

4- المرجع نفسه، ص: 13 .

الفصل الثالث:.....الفكر الديني عند الأمير عبد القادر

ينفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد نفشق ومن جمع بينهما فقد تحقق، وقول سفيان الثوري: أعز الخلق أربعة أنفاس: عالم زاهد وفقه صوفي وغني متواضع، وفقير شاكراً¹ أما مفهوم التصوف فنجد هناك مفاهيم كثيرة خاض فيها العلماء باجتهاداتهم منها المفهوم الذي قدمه ابن خلدون عن التصوف حيث قال : " وأصله أن طريقة هؤلاء القول لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ون بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، وكان ذلك علما في الصحابة والسلف تفشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده جنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"² .

إن التصوف بنظرة فلسفية محضة هو مكان لتجربة أنطولوجيا معلنة انطلاقاً من جدلية الباطن والظاهر، كما أن " العقلانية الصوفية " وهي عقلانية المقرب أو العقل المؤيد كما يسميه طه عبد الرحمان هي : " عقلانية مرتبطة بتجربة حية يتجاوز من خلالها الصوفي الآفات العلمية من تجريد وتسييس الآفات الخلقية كالتظاهر والتقليد باعتباره مؤيداً من الله"³ .

ويعرف الأمير عبد القادر التصوف بأنه: " جهاد النفس في سبيل الله أي لآجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا لشيء آخر غير سبيل الله "⁴ .

ولما كان هذا التعريف يتفق مع الحال، ولما كان الأمير يصرح في هذا الموقف أن فهمه جاء عن طريق الواردات أي من عند الله، فإننا نستنتج أن تعريفه هذا يرتبط بجهاده

1- صلاح مؤيد العقبى، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، (د ب دار البراق، دط، 2002) ص: 10

2- شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والقراية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، (دب دار الغرب للنشر والتوزيع، د ط، د س ن)، ص: 95 .

3- طه عبد الرحمان، العمل الديني وتجديد العقل، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2000) ص: 95 .

4- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ص: 130 .

هو في المرحلة الأولى ضد الاستعمار الفرنسي وجهاد النفس الذي يعتبر الجهاد الأكبر عند الصوفية .

وقد ألف الأمير كتاب في التصوف بعنوان " المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد" وهو عبارة عن ثلاثة مجلدات خاصة بالتصوف على غرار الفتوحات المكية لابن عربي حقق في سنة 1960 م تفسير لآيات قرآنية وشرح لأحاديث نبوية وتبسيط العقيدة الإسلامية وفي هذا المؤلف لم تظهر مكانة الأمير عبد القادر في العالم الإسلامي عموما وفي المشرق خصوصا، وأصل هذا الكتاب عبارة عن دروس ومحاضرات ومواعظ كان يقدمها عموما في المسجد الأموي بدمشق، وفي نختلف دروسه للتلاميذ والمريدين آنذاك، ويرى بعض الدارسين ومنهم (جواد مرابط في كتابه - التصوف والأمير عبد القادر -) أن الكتاب جاء بإلحاح من بعض العلماء الذين كانوا يترددون عليه آنذاك ومنهم الشيخ عبد الرزاق البيطار¹ .

2- الأسباب التي حملت الأمير على سلوك طريق التصوف :

إن الأسباب التي حملت الأمير على سلوك طريق التصوف كثيرة ومتنوعة، ولا بأس من استعراضها وتناولها بالتفصيل لأن دراسة الأسباب هي الباب الذي ندخل منه إلى عالم الأمير الصوفي .

2-1- نزعته الإنسانية : وهي النسب الإرادي الحقيقي الذي أراده الأمير أن يكون صلة الوصل بينه وبين أخيه الإنسان شرقيا كان أم غربيا أو أوريبيا، مسلما أو مسيحيا، إذ أن " أساس الديانة وأصولها لا خلاف فيها، بين الأنبياء من آدم إلى محمد عليه الصلاة والسلام فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الإله وتعظيمه"².

1- بركات محمد ، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص: 89 .

2- الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق وتقديم الدكتور ممدوح حقي ، بيروت، دار اليقظة العربية، ص: 101 .

ولقد كان الأمير على مستوى من الوعي الإنساني المتفهم لحقيقة الإنسان والإنسانية التي لا تؤمن بالحدود والحواجز والعراقيل بين البشر وخير دليل على ذلك :

أ- تصريحه في كنيسة المادلين في فرنسا- عندما كان منفيا فيها- إذ قال: " حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له، ولكن تبينت غلطتي، وعلى أي حال فإن مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطئي"¹ .

ب- تدخله في فتنة دمشق المشنومة عام 1860 م ، فقد شهد له التاريخ بهذا الموقف البطولي الخالد لأنه استطاع أن يحقق عمليا أسلوب الأريحية العربية في النجدة والبذل وحماية الدماء، وطابع الإيمان الإسلامي في التسامح والأخوة الإنسانية .

وهذان المثالن يعبران أصدق تعبير عن النزعة الإنسانية التي كان الأمير يعتبرها صلة النسب الإرادي بينه وبين أخيه الإنسان، ولذا حق له أن يقول كلماته الخالدات : " لو أصغى إلي المسلمون والنصارى، لرفعت الخلاف بينهم، ولصاروا إخوانا ظاهرا وباطنا، ولكن لا يصغون إلي"² .

وأكثر ما تبدوا نزعة الأمير الإنسانية في قصائده الصوفية التي أكد في بعضها على وحدة الأديان السماوية، فهو تارة هنا المسلم الزاهد، وطورا هذا الراهب الذي يسرع إلى الكنائس، وقد أحكم شد الزنار إلى وسطه، ومرة يلتحق بمدارس اليهود لتدريس التوراة:

فطورا تراني مسلما أي مسلم *** زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا

وطورا تراني للكنائس مسرعا*** وفي وسطي الزنار أحكمته شدا

وطورا بمدارس اليهود مدرسا*** أقرر توراة و أبدي لهم رشدا³

1- تشرشل، مرجع سابق، ص: 269 .

2- المصدر السابق، ذكرى العاقل وتنبية الغافل، ص: 107 .

3- الأمير عبد القادر ، المواقف، مج 1، ص: 20 .

وهذه النزعة الإنسانية، وإن لم يعتبرها بعض من تعرض لتصوف الأمير سببا أساسيا ومباشرا من أسباب تصوفه، هي إحدى العوامل المساعدة في تغذية وتنمية اتجاه الأمير الصوفي.

2-2- **انتماؤه إلى آل البيت النبوي:** مما لا شك فيه قد افتخر بهذا النسب النبوي الشريف وظهر فخره هذا في العديد من القصائد الفخرية والحماسية، أما موقفه من أهل البيت عامة فيبدو لنا في شرحه الآية الكريمة: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"¹، قال: "تأمل هذه العناية الكبرى والمنقبة العظمى والمنزلة الزلفى، لأهل البيت النبوي ولفظة أهل تعمهم من أولهم إلى آخر مولود منهم، حصر تعالى إرادته فيهم بأنها لإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الرجس، وهو الذنب تطهيرا كاملا مؤكدا بالمصدر وذلك بأن يكون كل مصدر منهم من المعاصي والمخالفات مغفورة لهم، بل المغفرة متقدمة لا بأنهم معصومون من المخالفات ولا إنه تعالى أباح لهم ما حرمه على غيرهم من الأمة، كلا وحاشا بل معنى أن ذنوبهم تقع مغفورة لهم عناية إلهية"².

2-3- **تربيته الدينية - الصوفية:** شب الأمير عبد القادر في جو تربوي ديني، فهو ابن الزوايا والطرق فقد نشأ نشأته الأولى في مدرسة الزاوية التي كان والده أنشأها، وتلقى مبادئ العلوم الدينية والفقهية فيها، وكان طموحه الأكبر في شبابه أن يصبح مرابطا، مثل والده الذي كان يحبه، ويتحمس له تحمسا بلغ حد العبادة.

2-4- **إيمانه الشديد بالقضاء والقدر:** إن إيمان الأمير بالقضاء والقدر شديد جدا، ولعله يتابع في هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، حين سئل عن الإسلام فقال: "أن تؤمن بالأقدار كلها خيرا وشرها، حلوها ومرها، ونلمس إيمانه هذا في كتاب العهد الذي أعطاه الأمير للويس نابليون (Louis Napoléon)، وتعهد فيه بعدم العودة إلى أرض الجزائر قائلا: "عندما أمرني الله بالنهوض نهضت... ولكن عندما أمرني بالتوقف

1- سورة الأحزاب، الآية: 33 .

2- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مصدر السابق، ص: 825 .

الفصل الثالث:.....الفكر الديني عند الأمير عبد القادر

توقفت وعند ذلك فقط تخليت عن السلطة واستسلمت"¹، إن نهوضه وتوقفه وتخليه وهي المشيئة الإلهية.

2-5- محاربته التقليد والمقلدين : ما يميز الأمر في تصوفه أنه مع تقديره واعترافه بضرورة الشيخ في الطريق الصوفي إلا أنه في الوقت نفسه يحذر من أي تقليد سواء تقليد الرجال أو تقليد الكتب، ولا يرضى إلا باجتياز التجربة الروحية والمجاهدة، نجده في تقديم كتاب المواقف يقول: " بأنه يدرك عن الحق بفهمه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالتفهم الرباني، وهو في كلامه في هذا المجال يخاطب الخاصة غير المقلدين " إذا كنت مقلدا فإن كلامي ليس معك "²، وهو رغم تأثره بالشيخ الأكبر ابن عربي فإنه يعتبر شارحا له، وبالتالي هو من دعاة الفهم الجديد للدين التليد، كما كان يقول دائما .

2-6- تركه الحياة السياسية والعسكرية بعد استسلامه : إن المرحلة الثانية من مراحل حياة الأمير عبد القادر (وهي مرحلة جهاده أتي امتدت من عام 1830م إلى عام 1847 م) قد استنفدت الشيء الكثير من تفكيره فانحصر تفكيره في الأمور السياسية والعسكرية لا يتخطاها إلا في القليل النادر، ولكن دخوله في معترك الحياة السياسية والعسكرية كان مفيدا جدا، فقد أوجد له بديلا من فقدان نشاطه الأدبي والعلمي هو فتوته ومرابطته، وهما حركتان من أشد الحركات ارتباطا بالتصوف، وبانتهاء هذه المرحلة السياسية والعسكرية تبدأ مرحلة جديدة، هي مرحلة التصوف والعبادة، والتجرد عن متاع الدنيا الفانية .

2-7- عزلته في أسره " بامبواز" (Amboise) في فرنسا : كانت هذه العزلة من أسباب تصوف الأمير بسبب كونها مرحلة هامة من المراحل التاريخية لتصوفه، إذ كان يشغل نفسه في هذه العزلة بالدعاء والتضرع وكشف الرأس حيث ترد عليه " الواردات في الوقائع مثيرة وآمة بالصبر"³ .

1- تشرشل، مرجع سابق، ص: 267 .

2- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، ص: 82 .

3- المصدر السابق، المواقف، مج 1، ص: 472 .

3- المراحل التاريخية لتصوف الأمير عبد القادر :

تكاد الدراسات تجمع أنه نشأ وفيه إرهاصات للتصوف، حيث كانت أسرته متدينة وتنتمي إلى طريقة ما جعله يكتشف عالم التصوف ويجتهد في مطالعة كتب القوم على حد تعبيره، وبالتالي يمكن القول أن تصوفه مر بعدة مراحل تاريخية توازي في نموها، وتصاعدها المراحل التاريخية لسيرة حياته الذاتية، وإن هذه المراحل قد نمت عنده نموا طبيعيا، وتدرجت تدرجا سليما في تصاعدها من نقطة البداية، بداية التوبة والورع إلى نقطة النهاية، نهاية النفس الأمارة بالسوء، حيث الشاهد واليقين، والغاية من هذا التقسيم التاريخي لتصوف الأمير هو بيان الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية، التي عملت على تكوين كل مرحلة من مراحل تصوفه، وهذه المراحل في حقيقة أمرها وحدة متكاملة مترابطة، فالمرحلة التي كانت سماء لما قبلها، تصبح بدورها أرضا وقاعدة لما فوقها من المراحل، وهذه المراحل كثيرة الشبه بإنسان أبي تمام حيث يقول :

وإذا انتهى في قلة من سوّد***قالت له الآخر: بلغت تقدم¹

3-1- المرحلة الأولى: مرحلة التلقن والتعلم والمطالعة (1807م - 1830 م) :

تمتد هذه المرحلة من ولادة الأمير في القيطننة عام 1807 م إلى تاريخ نزول الفرنسيين أرض الجزائر عام 1830 م ، ويبدو أن أهم فترة زمنية في هذه المرحلة هي الفترة الممتدة بين عامي 1825 م و 1828 م ، وهي فترة الرحلة المشرقية التي سافر فيها مع والده لأداء فريضة الحج، فأتاحت له فرصة الاطلاع عن كثب على الطرق الصوفية ومنها :

أ- الطريقة البقشندية: أخذه في مدينة دمشق عن الإمام أبي البهاء ضياء الدين مولانا الشيخ خالد البقشندي السهر وردي، إذ كان الأمير يكثر التردد إليه ليسمع منه علوما شتى في التصوف والتوحيد.²

1- أبو تمام حبيب، الديوان، طبعه و ضبطه شاهين عطية،(بيروت،المطبعة الادبية ،دط،1889م)، ص: 278 .

2- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 2، ص: 302 .

ب- الطريقة القادرية : أخذها في مدينة بغداد، من يد نقيب الأشراف شيخ السجادة القادرية السيد: محمود الكيلاني القادري¹ .

وبعد عودتهما من رحلتهاا المشرقية إلى أرض الوطن تولى السيد محي الدين وابنه الأمير عبد القادر نشر الطريقة القادرية، فالسيد محي الدين تولى التهيئة النفسية للكفاح، فأوجد مراكز في القرى والأحياء، وبين القبائل، وبث دعاة فيها إلى الله، فكان هؤلاء هم الذين غنوا حركة الجهاد التي قام بها الأمير في المرحلة الثانية من تاريخ حياته ويومئ الأمير إلى هذه المرحلة التاريخية من مراحل تصوفه في الموقف الثالث عشر من مواقفه حين كان: "مغرما بمطالعة كتب القوم- رضي الله عنهم- منذ الصبا، غير سالك طريقهم"².

2- المرحلة الثانية : مرحلة الفتوة والمرابطة (1830 م - 1848 م):

يرتبط بالصوفية من قريب أو من بعيد حركتان هما: حركة الفتوة وحركة المرابطة³ فالفتوة في الإسلام هي الصفح عن زلات الناس، والتماس المعاذير لهم، واستخدام الفتى قوته وشجاعته في نصره الضعفاء من المظلومين والفقراء والأيتام والعاجزين وأن يعتبر أن ليس له في الناس عدو، ولكن جهلاء وضالون يجب تعليمهم ، وهدايتهم⁴.

أما الربط والرباط والمرابطة، فالاجتماع في النهوض للدفاع عن تخوم الدولة الإسلامية فكانت الجيوش إذا توقفت عن الزحف في بلاد العدو أقامت حيث وقفت جماعات تمنع العدو من الكرة على الحدود الجديدة، واصطبغت المرابطة منذ نشأتها بصبغة دينية إذ اعتبر أنها نوع من الجهاد في سبيل الله، وقد انفرد التصوف الإسلامي عن التصوف غير الإسلامي بميزتين، وكان الأمير مؤمنا بهما أشد الإيمان وهما:

1- محمد بن عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص:302 .

2- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مصدر سابق، ص:46 .

3- عمر فروخ ، التصوف في الإسلام ، ص: 25 .

4- الرسالة القشيرية، ج 2 ، ص: 472 - 474، أو تعريفات الجرجاني، ص: 71 .

أن في التصوف الإسلامي ما يزيد فيه على معنى أي تصوف آخر، لأن الإسلام في جوهره شريعة دنيوية وأخروية، فهو يأمر بالعمل والجهاد والتمتع بالحياة دون إسراف ولا عدوان مصداقا لقوله تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك..."¹، وهذه الميزة الأولى من مزايا التصوف الإسلامي كانت مدار الشرح وتوضيح وتفصيل في الموقف التاسع والتسعين من مواقف الأمير².

وإن ما يتفرد به التصوف الإسلامي هو أن الشريعة الإسلامية حددت للمسلمين واجبات اجتماعية، وفرضت عليهم أن يكون معنى الإيمان: قوة روحية ترتفع في وجه كل طاغية، وضد كل ظلم وعدوان، لا تفتتهم رغبة ولا تخيفهم رهبة، ولا يخشون في الحق لومة لائم، مصداقا لقوله تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"³.

فقد جعل الإسلام العبادة وعمل المعروف والدعوة إلى الخير ودفع المظالم والتكسب من الحلال والكدر في الأرض عبادة وتحت ظلال هذه العقيدة التي تجمع ما بين العبادة النظرية، أي العلم وما بين العبادة العملية، أي الجهاد بنوعيه الأصغر والأكبر.

هكذا كان الأمير عبد القادر عمليا في تصوفه، يسمو بتدينه الصحيح إلى ذروة الفتوة والمرابطة بمعناها الإنساني النبيل خلافا لما صار إليه معظم الصوفيين.

3- المرحلة الثالثة : مرحلة التأمل والتفكير (1848 م - 1852 م)

وهي المرحلة التي وقع فيها أسيرا في أمبواز فضاقت عليه الأرجاء، ولكنه ظل متمسكا بوقدة الصبر تارة، ووقدة الشوق للخلاص من الأسر تارة أخرى، وقد أشار الأمير إلى هذه المرحلة التي سماها "خلوة"⁴، في كتابه المواقف، حيث دخل في خلوة أتاحت لأمير لأول مرة في حياته - التأمل الصوفي، والتفكير الروحاني الهادئ العميق،

1- سورة القصص، ص: 77 .

2- الأمير عبد القادر الجزائري المواقف الروحية، مج 1، مرجع سابق، ص 214 .

3- سورة آل عمران ، الآية 104 .

4- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مج 1، ص: 471 - 473 .

فكان يقضي أوقاته منشغلا بالذكر والدعاء¹، وكانت ترد عليه الواردات في الوقائع مشيرة وأمرة بالصبر، لذا اشتغل في أثناء خلوته هذه بالدعاء والتضرع وكشف الرأس .

وهي إلى جانب ذلك تمتاز بالإنتاج الأدبي والفكري وقد تعرف خلال هذه المرحلة إلى الصوفي الكبير السيد محمد الشاذلي القسنطيني، ومن المرجح أن يكون الأمير تتلمذ على يد الشيخ محمد الشاذلي، وتلقى عليه مبادئ الطريقة الشاذلية وأصولها، وناقشها في الموضوعات الصوفية إلى جانب المساجلات الشعرية التي كانت تجري بينهما من حين لآخر².

4- المرحلة الرابعة : مرحلة النضج والتعبير (1853 م - 1883 م) :

بدأ الأمير عبد القادر حياته بالجهاد والنضال في ساحة الوغى، وختمها في هذه المرحلة الصوفية الرابعة والأخيرة بالجهاد والنضال في مجال أعظم وهو جهاد النفس . لقد تغلغل الأمير خلال هذه المرحلة في علوم القوم، وأظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ما يؤذن بسمو مقامه، وعلو قدره، إذ كان يصوم رمضان على الكعك والزبيب معتزلا عن القريب والغريب، وله خلوة يتخذها في قصره بقرية أشرفية صحنيا³. وتعتبر هذه المرحلة من أطول مراحل تصوفه من الناحية الزمنية، واغني مراحلها من ناحية النتاج الأدبي والفكري، ففي هذه المرحلة تم له الفتح العظيم، وكان ذلك في خلوته الصوفية الشهيرة، إذ قام في مكة والمدينة سنة ونصفا (1863م - 1864م) مقبلا على العبادة والخلوة، والتقى فيها بالشيخ الجليل العارف بالله محمد الفاسي رئيس الطريقة الشاذلية فتتلمذ عليه، وشرب عنه الطريقة، ولازم الرياضة والاجتهاد وعكف على ما في تلك الطريقة من الأذكار والأوراد، إلى أن ارتقى في معارج الأسرار الإلهية" وما تم له الارتقاء إلا غار حراء، لأنه انقطع فيه أياما عديدة إلى أن جاءته البشرية ووقع له

1- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مج1، مصدر سابق، ص: 472 .

2- الديوان، ط 3 قسم المساجلات ، الصفحات : 98 - 117 .

3- أحمد تيمور، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص: 364 .

الفتح النوراني، وانفتح له باب الواردات واستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحة¹.

هذه هي المراحل التاريخية لتصوف الأمير تدرجت تدرجا تصاعديا في سماء المعرفة الإلهية، وبدأت في مرحلتها الأولى تلقينا وتعلّما ومطالعة ليس فيها من أثر للتجربة الروحية الشخصية، ثم تلتها المرحلة الثانية فكانت الفتوة والمرابطة أساس تصوفه العملي، وكانت المرحلة الثالثة نقطة الاتصال بين المرحلتين السابقتين والمرحلة الرابعة والأخيرة، وبعد نضوجه الفكري والصوفي عبر عن رحلته الصوفية فكانت تعبيراته الصوفية خاتمة المطاف.

1- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مرجع سابق، ص : 695 .

المبحث الثاني : الطريق الصوفي .

1- أ- المقامات : المقام هو قيام العبد بين يدي الله عز وجل وفيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل¹ .

وعرف القشيري المقام فقال: " ما يتحقق به العبد بمنزلته (أي بنزوله فيه واكتسبه له) من الآداب، مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف"².

ولا يكتسب المرید هذه المقامات دفعة واحدة بل عليه " أن يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام"³، ويصل إلى درجة الكمال فيه، وقد اختلف شيوخ

الصوفية أنفسهم في عدد المقامات وجعلها الشيخ الطوسي في كتابه الشهير : " اللمع في التصوف "سبقا، وهي: " التوبة، الورع ، والزهد، والفقر ، والصبر، والوعظ"⁴ ، وهذه

المقامات السبع جماع التربية الخلقية الزهدية للصوفي .

- مقام التوبة: هو أول منزلة من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين المنقطعين إلى الله، وتحديد التوبة: انتباه القلب من رقدة الغفلة، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة، أو هو " الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه"⁵.

- مقام الورع: لقد عرفه الشبلي بقوله : " الورع أن تتورع أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين"، والورع أن يمتنع المرید عن كل حرام، ويتعفف عن كل شبهة، إذا تشابه الأمر عليه، ولم يستطع أحد أن ينقذه من حيرته فليستقت قلبه، والورع: التقوى وقيل هو ترك

1- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف،تحقيق الدكتور عبد الحليم وطه عبد الباقي سرور ،(مصر،دار الكتب الحديثة ،دط،1960م)، ص: 70 - 81 .

2- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف،(مصر،دار الكتب الحديثة، ط1، 1966م)، ص:191 .

3- المرجع نفسه، ص: 191 .

4- الطوسي، اللمع في التصوف، ص : 70 - 81 .

5- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1 ، مرجع سابق، ص: 253 .

المحظورات، كما أن التقوى هي ترك الشبهات، وقيل الورع هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات، وقيل هي ملازمة الأعمال الجميلة¹.

- أما الزهد: فإن الصوفي الذي لم يحكم أساسه في الزهد لا يصح له شيء مما بعده، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل طاعة وخير².

فالزهد ترك لذائذ الدنيا الفانية - المشروعة و غير المشروعة - طمعا بلذائذ الآخر الخالدة، لذا كان الزهد عند بعضهم أفضل من الفقر، لأنه فقر وزيادة، ولأن الفقير عادم للشيء اضطرارا، والزهد تارك للشيء اختيارا³.

ولم يرد للزهد ذكر في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى: " وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين"⁴.

-أما الفقر: فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الفقر أزين بالعبد المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس"⁵، ولا يعني الفقر انعدام الملكية فقط، بل يتضمن انعدام الرغبة في الأمور الدنيوية ونقص اليد من المشاركة في الملكيات الدنيوية والرغبة في الله على أنه الغاية الوحيدة المرغوب فيها.

- أما الصبر: فهو من المقامات التي تمكن السالك من أن يتحمل باسم الثغر جميع ما يحل به من مصائب ونكبات ومآسي لأنها صادرة عن مشيئة الله .

ويرى الطوسي أن: " الصبار أعلى درجات الصابرين"⁶، لأن صبره في الله والله، وبالله، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير⁷.

1- علي الجرجاني، التعريفات، (مصر، المطبعة الخيرية ، ط1، 1306هـ)، ص: 110 .

2- الطوسي، اللمع في التصوف، ص: 72 .

3الفاخوري حنا و خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، (بيروت، مؤسسة بدران و شركائه، ط2، 1963م) ص: 265 .

4- سورة يوسف، الآية: 20 .

5- نقلا عن نصر الدين الطوسي من كتاب " اللمع في التصوف": ص : 74 .

6- المرجع السابق، الطوسي ، اللمع في التصوف، ص: 76 .

7- المرجع نفسه، ص: 77 .

- أما التوكل: فهو استسلام السالك استسلاما تاما لمشيئة الله، قال سهل بن عبد الله التستري: " أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف شاء، لا يكون له حركة ولا تدبير"¹ .

-أما الرضا: فقال فيه ذو النون المصري:² " هو سرور القلب بمر القضاء"³ وقالت رابعة العدوية⁴: " إن العبد يكون راضيا عن الله إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة"⁵ ويرى الغزالي في الرضا أنه ثمرة من ثمار المحبة، وهو أعلى مقامات المقربين ومقام الرضا آخر المقامات.

1 - ب - مقامات الأمير:

لقد تحدثنا فيما مضى عن مقامات الصوفيين، وكان حديثنا الماضي عن هذه المقامات حديثا نظريا عاما يتناول مقامات الصوفيين بشكل عام، وهي عبارة عن القاعدة المنهجية التي يسير الصوفيون عليها كل حسب استعداده وميوله وفطرته، أما الآن فإن حديثنا سيكون حديثا تطبيقيا علميا.

إن ما نريد أن نلفت النظر إليه أن كثيرا من مقامات الأمير وأحواله كانت في غالبيتها الساحقة تطبيقا عمليا لا أثر للناحية النظرية أو القولية فيه، والأمير لم يعرف المقامات والأحوال، ويتحدث عن كل نوع من أنواعها شأن المؤرخين والمصنفين في تاريخهم وتصانيفهم بل خبر المقامات والأحوال، وعانى من تجربته معها معاناة المجرب،

1- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1 ، ص 368 .

2- أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم الأحمصي المصري (180 - 235 هـ / 796 - 859 م) منشئ المذهب الصوفي وصاحب نظرية المعرفة الصوفية وترتيب الأحوال والمقامات من: الزركلي، الأعلام، ج 2 ، ص: 78 .

3- أبو نصر السراج الطوسي ، اللمع في التصوف، ص: 80.

4- أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية(... - 135 هـ / ... - 752 م) مشهورة بالصلاح والزهد لرابعة أهمية كبرى في التصوف الإسلامي، فهي أول من دعا إلى حب الله لذاته، الزركلي، الأعلام ج 3، ص: 31 ، والتصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ ، ص: 59.

5- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية ، ج 2 ، مرجع سابق، ص: 424 .

ومارسها في حياته تطبيقاً عملياً، أكثر منه قولاً نظرياً، وليس أدل على ذلك من استعراض حياة الأمير عبد القادر فهي وحدها جامعة أنواع المقامات والأحوال¹.

لقد مارس الأمير المقامات والأحوال خلال سيرة حياته الذاتية ممارسة عملية تطبيقية فكل موقف وحدث من مواقف حياته وأحداثها هو سلوك على طريق الوصول إلى الحق فمعاملته الإنسانية النبيلة للأسرى وحروبه الشريفة في المرحلة الثانية م مراحل حياته تعبران فتوته ومرابطته، وأسرته في قلعة " أمبواز " (Amboise) في فرنسا، وصبره على المحن والشدائد في الأسر هما بحد ذاتهما مقاما : التوكل والصبر، ويضيف بنا المقام عن تتبع أحداث حياته وموافقها لمقاماته وأحواله فلا بأس من استعراض مقامات الأمير أولاً بما تيسر لنا استخلاصه واستنتاجه من خلال مؤلفاته النظرية المعبرة أصدق تعبير عن حالته النفسية الداخلية وعن ممارسته التطبيقية .

سوف نبدأ بلمحة موجزة عن مقام التوبة، ثم نركز على مقام التوكل لا نبرز في صفاته بروزاً واضحاً .

-مقام التوبة: اعتبر الأمير أن مقام التوبة هو: " الأساس لسلوك الطريق والمفتاح للوصول لمقام التحقيق، فمن أعطيه أعطى الوصول، ومن حرمه حرم الوصول"².

وعلى ضوء فهمه للتوبة التي هي التقوى والوسيلة التي هي الشيخ الكامل كما جاء في الآية القرآنية: " يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون"³، نستطيع أن نفهم أنواع الجهاد الذي اطلع به الأمير، سواء الكفاح المسلح أو الجهاد بالقلم والتعليم والسمو الروحي، كما نستطيع أن نؤكد على من يتهم التصوف بترك الأسباب والجمود- أن التصوف - على الأقل مع الأمير- ليس تواكلاً وتكاسلاً بل فتوة ومرابطة وجهاد في سبيل الله حتى نهاية البشرية- ومن هنا نستخلص مقام التوكل .

1- بركات محمد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، (مصر، الصدر لخدمات الطباعة ، 1990 م)، ص: 148 .

2- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، ج1، مصدر سابق، ، ص:430 .

3- سورة المائدة ، الآية : 35 .

الفصل الثالث:.....الفكر الديني عند الأمير عبد القادر

-مقام التوكل: التوكل عند الأمير هو: "الثقة والطمأنينة لا ترك الأسباب مع الشك والاضطراب، فليس هذا من التوكل المطلوب في شيء"¹، والتوكل في رأيه غير التواكل إذ "لو كان ترك السبب والحركة توكلا للزم إذا وضع الخبز بين يدي هذا المتوكل أن لا يتناوله ويرفعه إلى فيه ، فإن هذا سبب وحركة لوصول الخبز إلى بطنه"².

وقد اختلف الناس في مفهومهم لارتباط التوكل بالسبب، وهم على ثلاثة أقسام:

أ- متسبب صرف نظره مقصور على السبب وقوته وضعفه فهو أعمى.

ب- متوكل صرف معرض عن الأسباب ظاهرا وباطنا، وهو صاحب حال لا يقتدى به ولا يحتج عليه.

ج- متسبب بظاهره متوكل بباطنه، يده في السبب، وقلبه متعلق بخالق السبب، ظاهر لظاهر، وباطن لباطن، وهذا هو الكامل الناظر بعينين³.

من هنا فإن توكل الأمير هو مقام المتسبب ظاهريا، والمتوكل باطنيا، أي أن يكون ظاهره يوحى بتعلقه بالأسباب، وباطنه القلبى متعلقا بخالق الأسباب ورب الأسباب.

لذا فقد دعا إلى إثبات الأسباب من " حيث أثبتنا الحق - تعالى - امتثالا للأوامر وإتباعا للحكمة، ولا تعتمد عليها من حيث أنها أغيار للحق تعالى وشاهد وجه الحق فيها فلا بد من الأسباب وجودا والغيبة شهود"⁴.

وعلى ضوء هذا الموقف يبدوا لنا مفهوم التصوف العملي والجهادي عند الأمير فليس التصوف عنده تواكلا وتكاسلا، وتخاذلا، بل التصوف عنده فتوة ومرابطة وجهاد في سبيل الله، فإن " مقام الكمل هو معاطاة الأسباب مع الاعتماد على الله"⁵

1- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، ج1، مصدر سابق، ص: 369 .

2- المصدر نفسه، ص ن .

3- المصدر نفسه ، ص: 151 .

4- المصدر نفسه، ص : 761 .

5- المصدر نفسه ، ص : 843 .

2 - الأحوال :

2- أ- الأحوال عند المتصوفة :

الأحوال عند الصوفيين معان ترد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب واكتساب، مثل الطرب والحزم والبسط، والشوق، وصاحب الحال مترق عن حاله ينتقل من حال إلى حال إذ " الأحوال كاسمها يعني أنها : كما تحل بالقلب تزول في الوقت " ¹.

وأما الأحوال عند الطوسي فمعناها هو: " ما يحل بالقلب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار " ²، هذه الأحوال تنزل من لدن الله إلى القلب فلا يستطيع الإنسان لها دفعا ولا يقدر أن يحتفظ بها فوق ما أراده الله " فهي تحل في قلبه وتزول عنه كما يريد الحق " ³.

والأحوال عشر في نظر الطوسي صاحب " اللمع في التصوف " وهي: المراقبة، والقرب والمحبة، والخوف، والرجاء، والشوق، والأنس، والطمأنينة، والمشاهدة واليقين.

أما المراقبة فلا تكون إلا لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطلع على ما في قلبه وضميره، وعالم بذلك، فهو يراقب الخواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده.

فالمراقبة نوع من تركيز الفكر والתיقظ، بحيث لا تجد وساوس الشيطان إلى القلب سبيلا، ولا تتطرق إليه الأفكار الآثمة، فالمراقبة تستأصل الرذائل النفسية، كالجهل والكبر والحسد، وتستبدل بها أصدادها من صفات حميدة ⁴.

والمراقبة تجعل السالك يشعر بقرب الله منه، وبقربه من الله، قال الجنيد: " إن الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه " ⁵.

1- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية ، ج 1 ، مرجع سابق، ص : 193 .

2- أبو نصر السراج الطوسي ، اللمع في التصوف ، ص : 66 .

3- نيكلسون رينولد، في التصوف الإسلامي وتاريخه، تعريب أبو العلا عفيفي، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، دط، 1947م)، ص : 82 .

4- الطوسي ، اللمع في التصوف ، ص : 82 .

5- المرجع نفسه ، ص: 85 .

يعتبر الصوفية أنه ليس من كائن إلا الله، فإله هو الجمال السرمدى، وليس من سبيل إلى الله إلا الحب، وقد اعتبر هذا الحب الخالص في الأحوال بمنزلة التوبة في المقامات، فمن صحت توبته على الكمال، تحقق بسائر المقامات.

قالت رابعة العدوية: " ما عبدت الله خوفاً من الله ... ولا حبا للجنة ... ولكنى عبدته حبا له ... وشوقا إليه " ¹ .

ولم يقتصر الحب الصوفي على الله وحده، بل تعداه إلى جميع مخلوقاته على أن صفات الله تتجلى فيها، فالمقصود بحب الله في مخلوقاته وبحب المخلوقات في خالقها وهكذا فكل شيء مظهر من مظاهر الجمال الإلهي، وكل شيء موضوع عشق ومحبة، فالحب إذا جوهر السلوك عند الصوفيين.

الخوف حال تقابل المحبة، فإن القرب إلى الله تعالى والنظر إليه يبعثان المحبة في النفس كما يبعثان الخوف الناجم عن رهبة الله وعظمته وجلاله، ومن ثم فليس الخوف الصوفي نفورا، وإنما هو لجوء إلى الله من الله نفسه .

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): " ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا " وقال بعضهم: " الخوف والرجاء جناحا العمل لا يطير إلا بهما " ² .

والرجاء هو تعلق النفس بالمحبيب الذي يسعى المتصوف في سبيل الوصول إليه أنه المحبة الواثقة .

روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يقول في دعائه : " أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك " ³، ولذة النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة والشوق إلى لقائه في الدنيا، إذ أن الشوق ثمرة من ثمار المحبة، فمن أحب الله اشتاق إلى لقائه، حيث ينعم قلبه بذكره.

1- أبو طالب المكي، قوت القلوب، مج 2، ص: 13 .

2- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص: 91 .

3- المرجع نفسه، ص: 94 .

ومعنى الأنس بالله تعالى: "الاعتماد عليه والسكون إليه ، والاستعانة به، ولا يتهيأ أن يعبر عنه بأكثر من هذا"¹ .

وقالت رابعة العدوية :

إني جعلتك في الفؤاد محدثي*** وأبحث جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس*** وحبیب قلبي في الفؤاد أنيسي²

والطمأنينة تحدث في قلوب الذين لا يذهبون إلى القول بالأنس : وكأننا بهذه الحالة وقف على المحافظين الذين لا يزالون يؤمنون بأن الاتصال بالله مباشرة في العالم الأرضي ليس من الأمور اليسيرة على البشر، وإنما كانوا في الدرجة العليا من الكمال النفساني والاستعداد الذاتي، فيطمئنون إلى ربهم في دعة وسلام ويسلمون له القيادة"³ .

أما المشاهدة فهي الوصل بين رؤية العيان ورؤية القلب والمشاهدة " حال رفيعة وهي من لوائح زيادات حقائق الإيمان"⁴ .

ويعتبر الطوسي أن أهل المشاهدة على ثلاثة أوجه أعلاها " مشاهدة قلوب العارفين التي شاهدت الله مشاهدة تثبيت، فمشاهدوه بكل شيء، وشاهدوا كل الكائنات به "⁵ .

أما اليقين فهو المكاشفة، وقيل هو ارتفاع الشك⁶، واليقين أصل جميع الأحوال التي إليه تنتهي ، ونهاية اليقين الاستشارة وحلاوة المفاجأة، وصفاء النظر إلى الله تعالى بمشاهدة القلوب بحقائق الإيمان .

إن هاتين الحالتين: حالة المشاهد، وحالة اليقين لا يبلغهما إلا من الله عليهم بهما وهم قلة نادرة وصفوة مختارة.

1- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، مرجع سابق، ص: 96 .

2- إسماعيل ابن كثير ، البداية والنهاية، ج 10 ، (بيروت ،مكتبة المعارف ،ط2، 1974م)،ص : 187 .

3- جبور عبد النور ، التصوف عند العرب، ص 115 - 116 .

4- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف ، ص : 101 .

5- المرجع نفسه، ص ن .

6- المرجع نفسه، ص : 104 .

2- ب -الأحوال عند الأمير:

أما فيما يتعلق بأحوال الأمير منها : حال القرب ، وحال المحبة وحال المشاهدة، وما دفعنا إلى اختيار هذه الأحوال الثلاث كونها أكثر الأحوال بروزا ووضوحا في تصوف الأمير .

1- حال القرب: " والقرب من الحق - تعالى - قرب معنوي"¹، ولا يتم ذلك " إلا برفع حجاب الجهل، فما بعدنا إلا الجهل، ولا قربنا إلا العلم"² .

وأهل الله هم " القريبون من الله - تعالى - القرب المعنوي، المقربون عنده ... الملبون دعوته، المستجيبون إلى طاعته ... الداعون إلى معرفته وتوحيده على طريق الصوفية، أهل الحقيقة والسلوك والأحوال ... وقطع عقبات النفوس وطي المقامات إلى الذروة العليا"³ .

القرب عنده قربان :

أ- قرب النوافل : وهو أن يشهد العابد نفسه حال العبادة، بل وفي غيرها من سائر الأفعال و الإدراكات إنه بالله، أي أنه يشهد الحق - تعالى - قدرته وسمعه وبصره وجميع قواه وأعضائه الظاهرة و الباطنة، فلا يرى فعلا له ولا لغيره ولا إدراك إلا بالله، وهذا المقام المسمى بقرب النوافل ثابت ذوقا ووجدانا.

ب- قرب الفرائض: " وفي هذا المقام يشهد العابد نفسه وقواه الباطنة وأعضائه الظاهرة آلة الحق - والحق تعالى - المصرف لها، المؤثر بها، فيسمع بسمع العبد، ويبصر ببصره ويتكلم بلسانه، إلى آخر الإدراكات"⁴ .

1- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية، ج1، مصدر سابق، ص: 135 .

2- المصدر نفسه، ص: 358 .

3- المصدر نفسه، ص: 302 - 303 .

4- المصدر نفسه، ص: 303 .

" ومن الطبيعي أن من كان قربه قرب النوافل فهو قريب، ومن كان قربه قرب الفرائض فهو أقرب"¹، وكلما تدانت الديار بين الأمير ، وبين المحبوب زاده هذا القرب أشجانا وأحزاننا فلا القرب يشفي ولا البعد ينسي ، وكلما ازداد قربا من الحبيب الأول زاده هذا القرب عطشا إلى معرفة الحبيب المطلق واجب الوجود :

وإن قلت يوما قد تدانت ديارنا*** لأسلو عنهم زادني القرب أشجانا

فما القرب بي شاف ولا البعد نافع*** وفي قربنا عشق دعاني هيمانا²

2- حال المحبة: ملأ الأمير قلبه معرفة بالله، وهياما بمحبته هذه المحبة الالهية التي عرف حلاوة مذاقها ونعمة عطائها، فلا يستطيع أن يسلوها، وأن يبتعد عنها، هي محبة ملكت عليه قلبه، فاشتعلت فيه نار الشوق، الشوق لمعرفة الحبيب وازداد الشوق والمحبة له .

عن الحب مالي كلما رمت سلوانا*** أرى حشو أحشائي من الشوق نيرانا؟

لواعج لو أن البحار جميعها*** صبين لكان الحرّ أضعاف ما كانا

فلو أمن ماء الأرض طرا شربته*** لما نالني ريّ ولا زلت ظمّانا³

والمحبة عند الأمير درجات ومراتب، وأعلى مراتبها محبة الله المجاهدين الذين جاهدوا والجهاد الظاهر، والجهاد الباطن في سبيل معرفة الحبيب الأول واجب الوجود " فأني منقبة أعظم ومكرمة أفخم من محبة الله - تعالى - للمجاهد وهي محبة خاصة بالمجاهدين لها آثار في الدنيا والآخرة، كما أن محبة المجاهدين له - تعالى - محبة خاصة زائدة على محبة المؤمن غير المجاهد لظهور آثار المحبة من الجانبين"⁴ .

1- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، ج1، مصدر سابق، ص : 869 .

2- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، ص: 222 .

3- المصدر نفسه، ص: 221 .

4- الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف الروحية، ص: 1048 .

إذ ذلك يستوي عنده " شهيد المعترك وشهيد المحبة اللذان يستتر عنهما الوجود المجازي والحياة الفانية ويحصلان على الوجود الحقيقي والحياة الباقية، بخلاف غيرهما من الأموات"¹ .

3- **حال المشاهدة** : لم يطمئن الأمير إلى سلامة الطريق التي سلكها في تصوفه ووصوله في أحواله إلى حال المشاهدة، فالحديث عن الوصول حديث ذو فنون وشجون، إذ لا يمكن للمؤمن مهما عظم إيمانه إلا أن تتازعه نفسه الأمانة بالسوء وتطلب تكييف ما آمن به أو تشبيهه أحياناً ولذلك لا يطمئن الأمير " الاطمئنان الكامل بالشهود "²، وهذه الحالة هي النوع الثالث من أنواع الهدى التي أطلق عليها اسم " الأعظم هدى "، بحيث لا ينال هذه المرتبة " لا الذي حصلت له الهداية بالكشف والعيان "³ .

1- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية، ج1، مصدر سابق، ص : 409 - 410 .

2- المصدر نفسه، ص: 258 .

3- المصدر نفسه، ص: 258 .

المبحث الثالث : نهاية الطريق الصوفي

أ- وحدة الوجود والشهود عند المتصوفة :

إذ أن الصوفي: " لا أرى شيئاً غير الله، فهو في حال وحدة وجود، وإذ قال " لا أرى شيئاً إلا وأرى الله فيه" فهو في حال وحدة شهود ولعل هذا أوجز تبسيط ممكن لهذين الاصطلاحين اللذين يختزلان التجربة الصوفية في كل أبعادها، فحال وحدة الشهود هي حال الفناء، وحال وحدة الوجود هي البقاء، والفناء بقاء والبقاء متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وكذلك وحدة الشهود ووحدة الوجود، فإذا كنت فانيا عن شيء فأنت لابد باق بغيره، أو إذا كنت باق في شيء فأنت لا محالة فان عن سواه، وهذا أمر طبيعي بما أن الإنسان عاجز عن جمع همته، أو تسليط انتباهه، على أكثر من موضوع واحد في نفس اللحظة هذه الورقة التي أكتب عليها، إن فكرت فيها (طولها عرضها، لونها ... الخ)، تعذر عليّ أن أكتب عليها، وإن فكرت في الكتابة أو فيما أكتب تعذر عليّ التفكير في الورقة، في الحالة الأولى يقال في المصطلح الصوفي: أنا باق بالورقة فان عن الكتابة، وفي الحالة الثانية يقال : أنا فان عن الورقة باق بالكتابة .

يقول ابن عجيبة : " إن الفناء هو أن تبدو لك العظمة فتتسيك كل شيء وتخيبك عن كل شيء سوى الواحد الذي ليس كمثلته شيء، وليس معه شيء أو نقول : هو شهود حق بلا خلق، كما أن البقاء هو شهود عالم الأشباح إلى شهود الأرواح وشهود عالم الملك إلى شهود فضاء الملكوت، ومن فني به وانجذب إلى حضرته غاب في شهود نوره عن كل شيء ولم يثبت مع الله شيئاً"¹ .

ما يهمنا نحن في صدده من قول ابن عجيبة قوله : " إن الفناء هو شهود حق بلا خلق، كما أن البقاء هم شهود خلق بحق ... " بعبارة أخرى إن الفناء أو وحدة الشهود امتصاص التجليات في مبدأها- المبدأ يمتص تجلياته ويشفطها- أو هو اختزال الدائرة في نقطة المركز، بينما البقاء هو شيوع المبدأ في تجلياته، أو هو انزياح نقطة المركز في

1- أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، (مصر، ط 2، 1972)، ص: 296 .

الدائرة في الحالة الأولى يغيب الخلق في الحق ، وفي الحالة الثانية يتجلى الحق في الخلق، والخلق والحق أبدا ما بين غياب وتجل.

والمثال الذي كثيرا ما يسوقه الصوفية تبياننا لحالي الفناء والبقاء، جواب قيس ليلي عندما سئل " أين ليلي" وقوله: "أنا ليلي" فقيس، لما قال ما قال، كان فانيا عن نفسه باقيا بليلى.

ووحدة الشهود نوع من التوحيد يختلف عن توحيد الإيمان الذي نصت عليه الشريعة من حيث إن التوحيد الشهودي توحيد يقيني، تجريبي أو " ذوقي " على حد المصطلح الصوفي بينما التوحيد الشرعي إيماني، نقلي يلتمس إليه الدليل بالنظر العقلي، وعلى هذا فإن التوحيد الشهودي، أو وحدة الشهود حال أو تجربة لا فكر واعتقاد، يقول الدكتور أبو العلا عفيفي : " هو التوحيد الناشئ عن إدراك مباشر لما يتجلى مباشرة لما يتجلى في قلب الصوفي من معاني الوحدة الإلهية في حال تجل عن الوصف وتستعصي على العبارة وهي الحال التي يستغرق فيها الصوفي ويفنى عن نفسه وعن كل ميل سوى الحق، فلا يشاهد غيره لاستغراقه فيه بالكلية " ¹، ثم يتابع قائلاً : " هذا هو الفناء الصوفي بعينه، وهو أيضا مقام المعرفة الصوفية التي ينكشف فيها للعارف معنى التوحيد الذي أشار إليه ذو النون المصري إذ يقول : " إنه بمقدار ما يعرف العبد من ربه يكون إنكاره لنفسه، وتمام المعرفة بالله تمام انكارات الذات" ، ثم يتابع عفيفي : " فإن العبد إذا انكشف له شمول القدرة والإدارة الإلهية والفعل الإلهي، اضمحلت الرسوم والآثار الكونية في شهوده وتوارت إرادته وقدرته وفعله في إرادة الحق وقدرته وفعله وحده " ².

وينقل عفيفي عن التهانوي قوله: " والتوحيد عند الصوفية معرفة وحدانيته الثابتة له في الأزل والأبد، وذلك بالأحضر في شهوده غير الواحد جل جلاله... فيرى صاحب هذا التوحيد كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته (أي ذات الحق)

1- الدكتور أبو العلا عفيفي، التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، (بيروت ، دار الشعب ، ط ١٩٨٥)، ص: 51 .

2- المرجع نفسه، ص: 163 .

وصفاته وأفعاله، ويجد نفسه في جميع المخلوقات كأنها مديرة لها وهي أعضاؤها¹ ثم يقول التهانوي: " ويرشد فهم هذا المعنى إلى تنزيه عقيدة التوحيد عن الحلول والتشبيه والتعطيل كما طعن فيهم (أي الصوفية) طائفة من الجامدين العاطلين عن المعرفة والذوق، لأنهم لم يثبتوا معه غيره فكيف يعتقدون حلوله فيه أو تشبيهه به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا² .

ونعود إلى عبارة التهانوي القائلة إن الصوفية لا يثبتون مع الله غيره، ولا مع صفاته صفات أخرى، ولا مع أفعاله أفعالا أخرى، يعقب عفيفي على قول التهانوي بالقول إنه إذا أخذ على إطلاقه لا يجعل الصوفية من القائلين بالتوحيد بل بوحدة الوجود، وهو معنى للتوحيد كادت أن تقول به المدرسة البغدادية في القرن الثالث الهجري ، ومن زعمائها أبو القاسم الجنيد .

نستعرض فيما يلي طرفا من أقوال كبار ممثلي هذه المدرسة بادئين بأبي القاسم الجنيد ولشيخ الصوفية أقوال كثيرة في التوحيد أهمها قوله : " أن يرجع العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون"³، يشير الجنيد بهذا إلى قوله تعالى : (وإذا أخ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أ لست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين"⁴، أي أن شهادة الخلق للحق بوحديته وربوبيته قد أخذها الله تعالى من بني آدم في الميثاق الأول، وهم بعد في عالم الغيب قبل أ، يوجدوا في عالم الشهادة عندما كانوا مجرد إمكانية وجود أو وجود بالقوة، وقبل أن ينتقلوا إلى وجود بالفعل في هذا العالم، فإذا فني الصوفي عن نفسه وعن الخلق كان في حال مماثلة لحاله في عالم الذرّ، أو إن شئت قلت في نفس الحال إياها، لأن كل خروج من عالم الزمان والمكان هو التقاء بلحظة الميثاق التي قبلت فيها كلمة" بلى " .

1- أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، مرجع سابق، ص 151 .

2- المرجع نفسه، ص 152 .

3- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية ، ج 2 ، مرجع سابق، ص: 584 .

4- سورة الأعراف ، الآية : 172 .

وقد غلا الشبلي في توحيده غلوا أدى به إلى تكفير الموحد بقوله : " من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي ، ومن سكت عنه فهو جاهل ،ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن أوماً إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد، وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم من إثم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم"¹ .

مفتاح توحيد الشبلي هو العبارة الأخيرة التي تفيد استحالة توحيد الخلق الحادث للحق القديم، لأن توحيد الحادث حادث مثله، فهو بهذا الاعتبار عدم أو بحكم العدم، وإثبات وجود آخر مع الله الذي له وحدة الوجود إنما شرك أو الحاد به، هذا ما أدى بعضهم إلى القول: ما وحدّ الله غير الله² .

وللتوضيح نذكر بما قلناه في مطلع كلامنا أن ثمة تلازماً بين الفناء والبقاء، بحيث لا فناء بلا بقاء، ولا بقاء بلا فناء، بل إن الفناء هو عين البقاء، وإنهما حقيقة واحدة ولا فرق بينهما إلا في الاعتبار، أو قل إنهما مظهران من حقيقة واحدة، أحدهما سلبي (الفناء) وثانيهما إيجابي (البقاء)، كما تبين معنا أن وحدة الشهود تسمية أخرى للفناء، ووحدة الوجود تسمية أخرى للبقاء- وكلتا التسميتين - وشأنهما في هذا كشأن الفناء والبقاء تعبر عن حقيقة واحدة، ولا فرق بينهما إلا في الاعتبار حتى يمكننا القول إن وحدة الشهود هي عين وحدة الوجود، قياساً على القول إن الفناء هو عين البقاء.

ويصف عفيفي التجربة الصوفية إذ يقول : " ولكن العبد الفاني عن نفسه الباقي بربه ليس في حالة سلبية محضة، كما قد يسبق إلى الأوهام لأن بقاءه بالله يشعره بنوع من الفاعلية لا عهد له به، إذ يرى نفسه وكأنه منفذ للإرادة الإلهية، مدبر كل ما يجري في الوجود محرك للأفلاك، قطب الوجود الذي يدور عليه كل شيء"³ .

1- الفشيري عبد الكريم، الرسالة الفشيرية ، ج 2، مرجع سابق، ص: 586 - 587 .

2- أبو النصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص 52 .

3- أبو العلا عفيفي، التصوف، ص : 164 .

إن ما يمكن قوله أن ما ينطبق على حالي الفناء والبقاء من حيث تلازمهما، أو ما ينطبق على حالي وحدة الشهود والوجود من حيث اعتبارهما مظهرين لحقيقة واحدة، ينطبق أيضا على شهادتي الإسلام، من حيث إن الشهادة الأولى تنفي الوجود عن السوى وتثبتته الله تعالى وحده، فقول المسلم العادي : أشهد أن لا اله إلا الله " قريب جدا من قول الصوفي: "لا أرى شيئا غير الله" والشهادة الثانية، إذ تعترف بوجود العالم مرتبطا بالله تعالى في قولنا: "رسول الله"، إنما تثبت العالم موجودا بالله غير منفصل عنه، إذ هو منه قوام وجوده، ولذلك كان الإسلام هو وعي هذه العلاقة القائمة على أساس ألا وجود لغير الحق إلا بالحق، وهو ما يعبر عنه قول الصوفي "لا أرى شيئا إلا أرى الله فيه".

ب - وحدة الوجود والشهود عند الأمير عبد القادر :

عقيدة الأمير عبد القادر في الله تخالف مخالفة تامة عقيدة الإثبات والتشبيه ، كما أن عقيدة الأمير أيضا تخالف عقيدة التنزيه ، ويخالف الأمير كل فرق المسلمين في تصور معنى الله كما يخالف النصارى واليهود وكل الأديان والمذاهب، لكن الطريق في المسألة أن الأمير يخالف من وجه كل هؤلاء في عقيدته لكنه ومن وجه آخر يجمع داخل عقيدته أيضا كل تلك الطوائف والأديان والملل والنحل والعقائد.

قال الأمير عبد القادر بلسان حاله ومقاله¹ :

أنا الحب والمحِب والحب جملة*** أن العاشق المعشوق سرا وإعلانا

ففي أنا كل ما يؤمله الورى*** فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا

ومن شاء توراة ومن شاء إنجيلا*** ومن شاء مزمارا زبور وتبياننا

ومن شاء مسجدا يناجيه ربه*** ومن شاء بيعة ناقوسا وصلباننا

1- الأمير عبد القادر، المواقف، مصدر سابق، ص: 38 .

وقال: ¹

أنا العابد المعبود في كل صورة *** فكنت أنا ربا وكنت أنا عبدا
فطورا تراني مسلما أي مسلم *** زهوذا نسوكا خاضعا طالبا مدا
وطورا تراني للكنائس مسرعا *** وفي وسطي الزنار أحكمته شدا
أقول باسم الابن والأب قبل *** وبالروح روح القدس قصدا لا كيدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا *** أقرر توراة وأبدي لهم رشدا
فما عبد العزيز غيري عابد *** ولا أظهر التثليث غيري ولا أبدا

أنا عين كل شيء في الحسن والمعنى *** ولا شيء عيني فاحذر العكس والطرذا
إنها باختصار عقيدة وحدة الوجود التي صرح بها الأمير تصريحاً مباشراً لا لبس
فيه، فلقد كان الأمير شهماً شهامة هاشمية في معاركه وفروسيته كما كان شجاعاً شجاعة
أدبية في مواقفه العرفانية ومواقفه المعرفية، وأعلن عقيدته وصرح بها عكس أسلافه من
الصوفية الذين فضلوا التكتّم والتستر على عقائدهم خوفاً من الفقهاء من علماء الرسم
القانعين من العلم بالاسم " كما يصفهم الأمير"²، فهو لم يكن يهاب سلطة الفقهاء الذين قال
عنهم أنهم : " لا يكدرن صفونا بجعجتهم ولا يروعونا بمعمعتهم"³ .

أعلن الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن الأمير عبد القادر الجزائري " آمن بوحدة الوجود
تبعاً لشيوخه ابن عربي"⁴، وعقيدة وحدة الوجود هي العقيدة المحورية التي يدور حولها
كتاب المواقف كله، وهي عقيدة قديمة اعتقدها أقوام قبل الأمير وقبل الشيخ الأكبر محي
الدين ابن عربي، وتتخلص في قاعدة كبرى هي: " ما في الوجود إلا الله"، حيث يقول : "

1- الأمير عبد القادر، المواقف، مصدر سابق، ص : 36 .

2- المصدر السابق، ص : 26 .

3- المصدر نفسه، ص : 115 .

4- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ، (بيروت دار الغرب، ط 1 ، 1998)، ص : 18 .

ثبت عن المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن وإن كنا موجودين فإنما وجودنا به ...
ومن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم"¹ .

ونظرا لتشعب هذه العقيدة من ناحية المصداق والمفهوم ... فقد اختلفت طرق التعبير
عن عقيدة الوحدة الوجودية عند الأمير بعبارات واصطلاحات مختلفة لفظا وشكلا ومتفقا
مضمونا ومحتوى، فالأمير يسميها بتسميات مختلفة أحيانا باسمها الحقيقي الاصطلاحي
وحدة الوجود، وأحيانا يطلق عليها المعية الذاتية، وأحيانا يسميها بنظرية التشبيه في
التنزيه والتنزيه في التشبيه، وطورا بالوجود الواحد، وحيثما آخر يطلق عليها نظرية
الإطلاق والتقييد وهذه نصوصه التي يصرح بها بهذه العقيدة .

-أولا : الإعلان عن عقيدة وحدة الوجود صراحة :

يقول الأمير بعد أن يذكر آيات من القرآن الكريم ففي الآيات المتقدمة إشارة إلى ما
تقوله الطائفة العلية طائفة الصوفية من وحدة الوجود وانه تعالى عين كل معبود وإن كل
عابد إنما عبد الحق من وجه ببرهان هذه الآيات وبقوله:" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا
إياه"² .

فحسب الأمير تكون عقيدة الطائفة الصوفية الحقيقية هي عقيدة وحدة الوجود ويشرح
الأمير معنى هذه الوحدة الوجودية من أنها تعني أن الله عين كل معبود أي أن كل العباد
وعبر الزمان، أي عبر التاريخ، قد عبدوا الله سواء من عبدوا شجرا أو حجر، أ، وثنا أو
عبدوا المسيح، أو عبدوا عزيزا أو توجهوا بالعبادة لأي شيء آخر ... فإن البشر عند
الأمير ما عبدوا إلا الله وحده، لكن من وجه فقط لا من كل الوجود، ويتأول الأمير آيات
ذكرها تأويلا وجوديا يتفق ونظريته في التوحيد .

ويقول الأمير كل ما يقع عليه إدراك بأي مدرك إنما هو الوجود الحق ظاهرا بأحوال
الممكنات ونعنتها وصفاتها، وهي كلها أمور اعتبارية، كالنسب والإضافات عند

1- الفتوحات المكية، ج 1 ، ص : 419 .

2- الأمير عبد القادر، المواقف، مصدر سابق، ص 200 .

الفصل الثالث:.....الفكر الديني عند الأمير عبد القادر

المتكلمين،ولذا قال السادة بوحدة الوجود كشفاً وعقلاً، وهو حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ أو لا تبتعض، وما لا وجود له لا شيء له من توابع الوجود من كلام وسمع وبصر وقدرة وعلم وغير ذلك، فلا جرم كان الحق تعالى إذا خاطب من مرتبة إطلاقه عبده في مرتبة تقييده بالأحوال والتعيينات العبدية الإمكانية، كان تعالى المسمع المخاطب المتكلم (اسم فاعل) وكان السميع المخاطب المكلم (اسم مفعول) لظهوره بالمرتبتين الربوبية والعبدية¹ .

ففقيدة وحدة الوجود تكون هي عقيدة السادة الصوفية في نظر المير وهي ثابتة بالكشف الصوفي عند رفع الحجاب كما هي ثابتة عقلاً عنده، أما ما يقع عليه الإدراك في الوجود الخارجي إنما هو وجود الله ظاهراً في مظاهر الممكنات التي هي مظاهر اعتبارية فقط، وإن الله يظهر بمرتبة العبد وبمرتبة الرب معاً، لأنه حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ يصرح الأمير أن عقيدة أكابر الصوفية والكاملين منهم في أحوالهم الباطنة الخاصة هي عقيدة وحدة الوجود² .

ويحذر الأمير من تجاوز الشريعة ويعلم في حزو وجزم أن: " كل من ادعى أنه شم رائحة من طريق أهل الله تعالى ولم يزد للشرع تعظيماً وللسنة إتباعاً فهو مفتر كذاب"³ .
فلا تناقض عنده بين وحدة الوجود وبين الشريعة كتاباً أو سنة، يقول الأمير: " فإنه هو من حيث وحدة الوجود الذات فإن الوجود واحد وإن تعدد أنواعه فقبل وجود عيني وذهنى ولفظي وخطي"⁴، ويقول الأمير: " شهود حق بلا خلق وهو المعروف عند ساداتنا رضوان الله عليهم بوحدة الشهود ... مقام شهود خلق قائم بحق وهو المعروف عند السادة بوحدة الوجود حضرة الصفات والكثرة الاعتبارية"⁵ .

1- الأمير عبد القادر، المواقف، مصدر سابق ، ص: 132 .

2- المصدر نفسه ، ص : 48 - 49 .

3- المصدر نفسه ، ص: 49 .

4- المصدر نفسه، ص : 501 .

5- المصدر نفسه ، ص 340 - 341 .

ثانياً: وحدة الوجود عند الأمير هي الاعتقاد بالمعية الذاتية الإلهية .

يقول الأمير : " فمعيته إذا بذاته الجامعة لصفاته لا بصفة العلم على المعنى الذي يعرفه علماء الرسم ولو قالت به ألف فرقة ولما كانت معية الحق تعالى لنا بالمعنى الذي ذكرناه وهو معنى وحدة الوجود، وأنه لا وجود إلا وجوده تعالى ولا صفات إلا صفاته تعالى كان الوجود المنسوب إلى المخلوق مجازاً هو وجوده تعالى"¹ .

في هذا النص يكشف لنا أن الأمير كان يعلم أنه يخالف بعقيدته كل الفرق لا سيما فقهاء الظاهر الذي يسميهم علماء الرسم وعبارته : " ولو قالت به ألف فرقة " فيها نبرة تحدي واضح لهم، وأن من معاني وحدة الوجود هي الاعتقاد أن الله معنا بذاته حقيقة، ويقول : " ومعيته تعالى مع مخلوقاته بذاته تحقيقاً وبعلمه كما قيل أدباً ... فإذا سمعت أحداً من أهل هذا الطريق أو وجدت في كتابه إن المعية بالعلم واللفظ وإنما ذلك على طريق الأدب وعقدهم بخلافه، وهو تعالى معنا ولسنا معه إذا ليست لنا معية ... "²، فعقد باطن المتصوفة السري الحقيقي حسب الأمير هو عقيدة وحدة الوجود التي تعني أن الله بذاته لا بالعلم أو اللطف أو الصفة فقط كما تعتقد باقي الفرق الإسلامية .

ثالثاً : وحدة الوجود هي الاعتقاد بالوجود الواحد .

يقول الأمير: " فليس عندنا إلا وجود واحد هو عين وشرط الثلاثة: تعدد الوجود والعين فلا يكدرن صفونا بجعجتهم ولا يرعوننا بمعيتهم"³، ويقول: " إن القوم رضي الله عنهم لا اثنية عندهم ولا يقولون بوجودين قديم وحادث حتى يتحد أحدهما بالآخر أو يحل فيه فحقيقة الوجود عندهم واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ أو لا تتبعض"⁴، فما عند الصوفية إلا وجود واحد ولا اثنية في الوجود وتلك هي أخص عقيدتهم .

1- الأمير عبد القادر، المواقف، ص : 256 .

2- المصدر نفسه، ص: 340 - 341 .

3- المصدر نفسه ، ص: 52 .

4- المصدر نفسه، ص : 118 - 119 .

رابعاً: وحدة الوجود معناها أن الله منزّه ومشبه معا .

يفرق الأمير بين التشبيه الشرعي والتشبيه العقلي¹، يقول الأمير: " للخلق في مشاهدتهم ربهم نسبتين، نسبة تنزيه ونسبة تشبيه، وبكليهما جاءت الكتب الإلهية والأخبار النبوية، فمن شهد التنزيه فقط كالمنزّهة من المتكلمين أخطأ، ومن قال بالتشبيه فقط، كالعلولية والاتحادية اخطأ، ومن قال بالجمع بين التشبيه والتنزيه أصاب، فالعامة في مقام التشبيه والعقلاء في مقام التنزيه، والعارفون بالله تعالى في مقام التشبيه والتنزيه"² .
ويقول: " الشر ظن التنزيه فقط أو التشبيه فقط ، فكلا الفريقين أعوز، والكامل يبصر بعينين مشارط للحقيقتين عارف بالحضرتين، حضرة الإطلاق والتنزيه، وحضرة التقييد والتشبيه"³ .

والتشبيه الشرعي عند الأمير هو: " الذي عرفه الأنبياء والرسل وورثتهم من الأولياء عبارة عن صورة الجمال الإلهي لأن الجمال الإلهي له معان وهي الأسماء والوصاف الإلهية وهي تجليات تلك المعاني فيما يقع عليه المحسوس كقوله عليه الصلاة والسلام: رأيت ربي في صورة شاب أمرد"⁴، التشبيه الشرعي في عقيدة الأمير كل تجليات معاني الجمال الإلهي حتى المحسوس منه في صورة إمرة أو صورة شاب جميل أو غير ذلك، يقول: " هو تعالى كما وصف نفسه في كتبه وعلى السنة رسله عليهم الصلاة والسلام بأن له يدا ويدين وأيدي وجنب ويمين وأصبع وأصابع وصورة ونفس وذراع وقدم وهرولة ورضى وغضب وحبّة وشوقاً وضحكا وبشيشة وتعجبا وتحولا في الصورة واتيانا ومجيئاً وإنه في السماء وفي الأرض إلى غير هذا، فالكل صفات كمال له تعالى ولو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله كما تليق بجلاله وعظّمته"⁵ .

1- الأمير عبد القادر، المواقف، ص : 264 .

2- المصدر نفسه، ص : 118 .

3- المصدر نفسه، ص: 87 .

4- المصدر نفسه، ص : 264 .

5- المصدر نفسه، ص : 265 .

خاتمه

كخلاصة لهذه الدراسة يعد الامير عبد القادر من الرجال القلائل الذين جمعوا بين تاسيس الدولة والفكر، بحيث لا يمكن تنافي دوره في العالم الاسلامي، ولا ازالة فكره وذكره من الاذهان رغم محاولات عديدة لاختلاس هذه الذاكرة، او محاولة تشويهها او طمسها، رغم الهزيمة التي يراها البعض بمثابة الموت المعنوي او الكلي.

ولهذا يعد الأمير كنموذج للحاكم المثالي لأنه لعب عدة أدوار في نفس الوقت اجتمعت فيه كل الوظائف الانسانية لصنع شخصية البطل في الدين والعلوم والتربية والاقتصاد والمعاملات، وكذلك دور القدوة لكل أجيال الإنسان وتعامل بذلك مع الجميع بروح علمية وإنسانية ساعده على ذلك عدة عوامل منها: نسبه الشريف والبيئة التي احتضنته والزاوية القادرية التي رتبها ملن الفراغ الروحي والثقافي الذي كان يعيشه المجتمع بسبب عزلة الحكام.

كانت تجربة الامير اصلاح لكل المؤسسات ذات البعد الديني عن طريق تمسكه بالعدل والمساواة والاتمام بالقضاء والمراقبة الدائمة لموظفيه في تكامل وتلاحم وتنسيق عن طريق توزيع الادوار.

وكإجابة للإشكاليات المطروحة السابقة الذكر في المقدمة من خلال هذه الدراسة خلصنا إلى عدة نقاط أهمها:

- أن الأمير عبد القادر نشأ في عائلة علم وورع وتقوي وانتمائه إلى الزاوية القادرية، وأحب الاطلاع والاستكشاف وكان ابنا لوالد محارب هذا مما جعلته ذو عبقرية وخبرة حربية عسكرية.

- تآثر الامير من خلال رحلته إلى الحج بحكام الدولة التي زارها من مصر والحجاز زاده أملا في إرساء هاته القواعد في بلاده.

-تعتبر كل من حنكته السياسية التي تمثلت في كل من المعاهدات ديميشال وتافنا من العوامل التي ساعدت الأمير عبد القادر علي ارساء قواعد دولته الحديثة التي سيواجه بها الاستعمار .
- أما عن حنكته الحربية فقد أسس جيشا وقام بتدعيمه بالسلاح والعتاد واهتم به من كل جوانبه ووضع قوانين تحدد مهامه فكان الجيش سببا في قوته وقدرته على مواجهة العدو والذي نال منه في عدة مواجهات.

-أما تطبيقات كما اعتبر النظام القضائي من أهم الانجازات التي أدت إلى حفظ الأمن في البلاد وقلة السرقات والاعتداءات فكسب بذلك حب الناس وثقتهم فقضاءه لا يفرق بين الغني ولا الفقير أساسه العدل والمساواة بين الرعية.

- أما تنظيماته الاجتماعية التي وضعها الأمير تعطينا تصورا أنه لم يكن رجل حرب وسياسة بل كان رجل يهتم بشؤون رعيته.

كما ساهم الأمير قولا وفعلا في يقظة المسلمين وذلك من خلال تنظيماته الثقافية واهتمامه بالتعليم وجعله مفروضا على كل من وصل إلى سن الدراسة وجعله مجانيا وقام بإنشاء المدارس في كل مكان كما جمع الأمير بين التعليم وتوفير سبله من مدارس ومعلمين للنهوض بالمجتمع.

كما عمل الأمير أيضا على إحياء التصوف من خلال تجربته الذوقية والمعرفية. فمهما كثر الحديث عن ماهية هذه التجربة هل هي ذوقية عرفانية أم سلوكية أخلاقية فان الأمير عبد القادر العسكري المجاهد المقدم مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة هو تلميذ الشيخ الأكبر . الذي ساهم في بعث تراث الشيخ . بل وكان جسرا للكثير من الباحثين الغربيين لفهم ما استغلقت من آرائه. كما ساهم بآرائه المتفتحة في استشراف دور المسلم في زمن العولمة .

وفي آخر بحثنا هذا لا نقول أننا أحطنا بكل الموضوع لأنه موضوع واسع و متشعب،

بل حاولنا جاهدين أن نحيط بالبعض منه و الاقتراب من جوهره .

لنترك في آخر المطاف المجال إلى الأبحاث المستقبلية لتبحث في بقية جوانب الموضوع المختلفة كمسألة الولاية عند الأمير و الإنسان الكامل ومسألة الحلول و الاتحاد و أهمية الشيخ ... و غيرها من المواضيع .

فائده اخصيار واطرا جاع

القران الكريم

المصادر:

1. الأمير عبد القادر الجزائري: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق الدكتور ممدوح حقي، بيروت، دار اليقظة العربية، ط1: دت، ط2: 1964، ط3: 1965
2. الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل وتنبئه الغافل، تحقيق الدكتور ممدوح حقي بيروت، دار اليقظة العربية، دط، 1966.
3. الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري: المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العلمية، ط1، 2004.

المراجع:

- 1- أباطة نزار، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، (سورية، دار الفكر، ط1،).
- 2- إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر (د.ب، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط. 1999).
- 3- إينروبله، محمد بن عبد الكريم، وشائج الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، (الجزائر، ديوان العسكر المحمدي الملياني، د.ط، 1968).
- 4- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، (بيروت دار الغرب، ط 1 ، 1998، ج 5.
- 5- أبو القاسم سعد الله، مذكرات الأمير عبد القادر، (الجزائر: دار الأمة، د.ط، 2007).
- 6- إتيان برونو، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل حوزي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط2، 2001).
- 7- أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني : إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ط 2 ، مصر . 1972 .

- 8- أحمد بوزيان، تيارت من آل رستم إلى الأمير عبد القادر، (البلدية، دار المدار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1. 2013).
- 9- أحمد بوعشرين الأنصاري، مفهوم الدولة المدنية في الفكر العربي الإسلامي، (قطر، سلسلة دراسات المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، د.ط. 2016).
- 10- أحمد تيمور : أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. القاهرة ، منشورات لجنة المؤلفات التيمورية ، ط1، 1967م.
- 11- أحمد رشيد هطال وآخرون، دراسات موجزة عن مفهوم الدولة وأنواعها وأنواع السلطة العامة، (مطبعة زان هووك)، 2006.
- 12- أحمد عمير اوي، أوراق تاريخية،(الجزائر: دار الهدى، د.ط، 2006).
- 13- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (د.ب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط.1، 1983).
- 14- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، (د.ب، دار الرائد للكتاب، د.ط، د.س).
- 15- إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية ، ج10، بيروت ، مكتبة المعارف ، ط2، 1974م.
- 16- إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري (الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز مسعود والبابطين للإبداع الشعري، د.ط، 2000).
- 17- أمير تيمريسيل، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، تر: عبد الحميد بورابو وحميد بوحبيب، (الجزائر: دار الرائد للكتاب والطبع، د.ط، 2014).
- 18- الأمير عبد القادر، منبع الأصالة ... رائد الحداثة، (الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة رعاية، د.ط، 2011).
- 19- الأمير محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر : تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ممدوح حقي، (بيروت، منشورات دار اليقظة العربية، ط2، 1964).

- 20- بشير سعدوني، (الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء للنشر، 2011).
21- بلحيا بودواية : التصوف في بلاد المغرب العربي(الجزائر دار القدس العربي للنشر والتوزيع - ط1 2009).
22- بناني محمد الصغيري وآخرون، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، (الجزائر: شركة دار الأمة، ط7، 2010).
23- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997).
24- بودواية بلحيا، التصوف في بلاد المغرب العربي (الجزائر: دار القدس للنشر والتوزيع، ط1، 2009).
25- بوطالب عبد القادر، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، 2010).
26- بوعزيز يحيى، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكمها العسكريين بمليّة، (الجزائر، ط1، دار النشر والتوزيع، 1982).
27- تشرشل هنري، أبو قاسم سعد الله، حياة الأمير عبد القادر، (تونس : منشورات الدار التونسية للنشر، د.ط، 1974).
28- جون ب وولف، أبو قاسم سعد الله، الجزائر وأوروبا، 1830، 1500 (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط. 1986).
29- الحسني الجزائري، الأميرة بديعة، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، (الجزائر: دار المعرفة للنشر، د.ط، 2008).
30- الحسيني الجزائري، الأميرة بديعة، ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر لتشارل هنري تشرشل (دمشق، دار الفكر. 2001).
31- حلامي علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، (الجزائر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 2007).

- 32- خياطي مصطفى، أسرى الأمير عبد القادر ، ترجمة : يوسف، طبع بالمؤسسة الوطنية للاتصال، 2013.
- 33- دحوح عبد القادر، استحکامات الأمير عبد القادر مع العسكرية 1252- 1258 هـ (1836-1842م)، (الجزائر، دراسة تاريخية أثرية، مرقم للنشر، 2008).
- 34- الدكتور أبو العلا عفيفي : التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام ، دار الشعب ، بيروت، بلا تاريخ نشر .
- 35- الرسالة القشرية لأبي القاسم القشيري، تحقيق: معروف مصطفى زريق،(القاهرة، شركة القدس للتجارة ج 2 ط1.
- 36- رضا رشيد، الخلافة، [الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية، 1992].
- 37- رياض عزيز الهادي، مفهوم الدولة ونشوتها عند ابن خلدون، (د.س، مجلة العموم السياسية).
- 38- سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر، (الكويت: مؤسسة جائزة العزيز بن مسعود البابطين للإبداع الشعري.2000).
- 39- سكوت، مذكرات إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة إسماعيل العربي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- 40- سوينا أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830، (الجزائر، دار الكتاب للنشر والتوزيع، 2010).
- 41- السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري (الثقافة وأثرها في أدبه)، دب، د.ط.
- 42- شهيبي عبد العزيز: الزوايا والصوفية والقرابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، (دب دار الغرب للنشر والتوزيع، د ط، د س ن).

- 43- الصادق مزهود، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى التحرير الوطني، (الجزائر، دار بهاء الدين، ط2، 2012).
- 44- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرس 814ق م 1962 م (الجزائر: دار العلوم، الجزء الأول، د.ط.د.س).
- 45- صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها : (د ب دار البراق ، دط، 2002) .
- 46- طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل، (الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، ط3، 2000.
- 47- ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الأول، الحياة الدستورية، (ط1، دار النفائس، د.ب، د.س).
- 48- عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، (الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط. 2010).
- 49- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، (بانتة: عبد العزيز سعود البابطين، د.ط، 2000).
- 50- عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، (الجزائر: دار دزائر أنفو للنشر، ط2013.1).
- 51- عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، (الجزائر، دار الخلدونية للطباعة، ط1:2005).
- 52- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش، (الجزائر، وزارة الثقافة العربية، د.ط، 2006).
- 53- العربي إسماعيل، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1982).

- 54- العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، دس).
- 55- العربي صور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، (الجزائر: دار المعرفة، د.ط، 2006).
- 56- عزيز سامع نزيه، محمود عامر لأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، (بيروت، دون دار نشر، د.ط. 1989).
- 57- العسلي، بسام، الأمير عبد القادر الجزائري، [بيروت: دار النفاس، د.ط، 1986].
- 58- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، قراءة في فرادة الرمز والريادة، (د.ب، دار العرب للنشر والتوزيع، ط3، 2009).
- 59- عشيراتي سليمان، الأمير عبد القادر مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري في محطة المبادئ [بيروت: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، 2004].
- 60- علي الجرجاني، التعريفات، مصر، المطبعة الخيرية، ط1، 1306هـ.
- 61- علي المحجوبي، العالم العربي الحديث والمعاصر، فالتخلف فاستعمار فمقاومة، (بيروت: دار محمد علي للنشر، د.ط، 2009).
- 62- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، (بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1997).
- 63- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ لغاية 1962، (الجزائر: دار المعرفة، د.ط. 2006).
- 64- غالب بن علي عواجي : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (جدة. المكتبة العصرية الذهبية- ج 2، ط2 2010).
- 65- فائزة عبد المجيد، الأمير عبد القادر الجزائري، (د.ب، مجلة العربي، مج2، العدد 57، أوت 1963).

- 66- فتحي دردارة، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847، أدب 2001.
- 67- الفتوحات المكية، السفر الأول و الثاني،تحقيق الدكتور عثمان يحي، تصدير و مراجعة الدكتور إبراهيم مذكور، مصر، القاهرة، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، دط، 1972م.
- 68- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا،(الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،دط،1985).
- 69- القاسي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الثاني، السلطة القضائية،(بيروت : دار النفائس، 31، 33 .1978).
- 70- كبير سليمة، محمد هناء، الأمير عبد القادر ناصر الإسلام والوطن، (الجزائر: المكتبة الحمراء للطباعة والتوزيع، د.ط.1984).
- 71- مارسيل اميريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، ترجمة عبد الحميد بورابو، حميد بوحبيب، دار الرائد للكتاب والطبع، الجزائر، 2016.
- 72- محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تر محمد المغربي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للطبع، د.ط، 2008).
- 73- محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوطربة (دب د.ط، 1979).
- 74- محمد طمار، عبد الجليل مرتضى، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر،(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط. 2008).
- 75- محمد عابد الجابري، العصبية والدولة،(لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1994).
- 76- محمد لحسن زغيدي وآخرون، العلم الوطني ومسار الذكرى الخمسون للاستقلال، 1962، 2012، د.ط، دس.

- 77- محمد مقلّاح، غليزان مقاومات وثورات 1800 إلى 1914، (د.ب، منشورات دار الأديب، د.ط، 2010).
- 78- محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي المعاصر، (دمشق د.ط. 1997).
- 79- مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، (دبي، المكتبة الأردنية الهاشمية، ج1، 1961).
- 80- مناصريه يوسف، مهمة البون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847 ، (طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر.1990).
- 81- ناصر محمد السعيد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1962 - 1830- (الإرشاد للنشر والتوزيع.2013).
- 82- وديع نادر، الأمير عبد القادر الجزائري، (بيروت: مجلة المورد الصافي، د ط، 1911).
- 83- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830 (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط. د.س).

المعاجم

- 1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية و الإنجليزية واللاتينية، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982

الملتقيات:

- 1- حامد الجار: الجهاد وأبعاده الروحية والسياسية والاجتماعية في حياة الفرد والمجتمع في ملتقى الفكر الإسلامي العاشر، 10-19 بعنابه، دار البعث، 1980.
- 2- زعيم خشلاوي : إذ يبایعونك تحت الشجرة ، أعمال الملتقى الدولي حول مبايعة الأمير عبد القادر على رأس الدولة الجزائرية، المنعقد بالنادي الوطني للجيش (الجزائر العاصمة يومي 2و3 فيفري 2010موقم للنشر - الجزائر.2011).

المجلات والمذكرات الجامعية:

قائمة المصادر و المراجع :

- 1- مقصود محمد، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1830-1919، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2016.
- 2- مولاي بلخميبي، زمالة الأمير عبد القادر وملاحها، في أخبار معسكر، عدد خاص، 2001، الذكرى 118 لوفاة الأمير عبد القادر 23 ماي 1883.
- 3- مياسي إبراهيم، بناء دولة الأمير عبد القادر (في جريدة المساء، 18 سبتمبر 1998).

فهرست امکنویان

فهرس الموضوعات	
رقم الصفحة	المحتوى
--	كلمة شكر
	إهداء
- أ -	مقدمة
الفصل الأول: العلاقات و الأوضاع السائدة في عصر الأمير عبد القادر	
08	المبحث الأول: الأوضاع السائدة قبل عصر الأمير عبد القادر
08	مرحلة البايلربايات
08	مرحلة الباشاوات
09	مرحلة الأعوات
09	مرحلة الدايات
11	المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية الفرنسية و خلفيات الاحتلال
11	الخلفيات الدينية
11	الخلفيات السياسية
14	الخلفيات الاقتصادية
14	الخلفيات العسكرية
16	التواطؤ اليهودي الفرنسي و احتلال الجزائر
17	المبحث الثالث : حياة الأمير و العوامل المؤثرة في تكوينه
17	أصله
18	مولده و نشأته
19	العوامل المؤثرة في تكوينه

الفصل الثاني : الفكر السياسي للأمير عبد القادر	
37	المبحث الأول : أسس و منطلقات الفكر السياسي للأمير عبد القادر
37	الأسس الدينية
39	الأسس الاجتماعية
40	الأسس النفسية
41	المبحث الثاني : مفاهيم أساسية للفكر السياسي للأمير عبد القادر
41	مفهوم الدولة
49	مفهوم البيعة
54	مفهوم الأمة
55	مفهوم السلطة
56	مفهوم الخلافة
57	المبحث الثالث: تطبيقات الفكر السياسي للأمير عبد القادر
57	الجانب السياسي: الحنكة السياسية للأمير عبد القادر
59	الجانب العسكري: الحنكة العسكرية في تنظيم الجيش عند الأمير عبد القادر
70	الجانب الاجتماعي: الخبرة الاجتماعية للأمير في تأسيس دولته
الفصل الثالث: الفكر الديني للأمير عبد القادر	
76	المبحث الأول: التصوف عند الأمير عبد القادر
76	مفهوم التصوف
79	الأسباب التي حملت الأمير على سلوك طريق التصوف
83	المراحل التاريخية لتصوف الأمير

88	المبحث الثاني: الطريق الصوفي
88	المقامات عند المتصوفة
90	المقامات عند الأمير
93	الأحوال عند المتصوفة
96	الأحوال عند الأمير
99	المبحث الثالث: نهاية الطريق الصوفي
99	وحدة الوجود والشهود عند المتصوفة
103	وحدة الوجود و الشهود عند الأمير
110	خاتمة
--	قائمة المصادر و المراجع
--	الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ